إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية
لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم
من سورة آل عمران من الآية (93-170)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالب : **إبراهيم داود سلام درغام**

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: 2013/9/2م

الجامعة الإسلامية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية
لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم
من سورة آل عمران من الآية (93-170)

Analytical study

The aims of the seventh section of the Holy Qur'an

from Al Imran surah from {93-170}

إعداد الباحث

إبراهيم داود سلام درغام

إشراف

فضيلة الدكتور: ريـاض محمود قاسم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

من كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية-غزة.

1434هـ – 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ .... Ref

التاريخ: 2013/08/27 .... Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **ابراهيم داوود سلام درغام** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم آل عمران "93-170"

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 20 شوال 1434هـ، الموافق 2013/08/27م الساعة الحادية عشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. رياض محمود قاسم	مشرفاً ورئيساً	....
د. زهدي محمد أبو نعمة	مناقشاً داخلياً	....
د. فايز حسان أبو عمرة	مناقشاً خارجيًا	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[آل عمران:138]

الإهـــــــداء

إلى منارة العلم والإمام المصطفى، إلى سيد الخلق، **رسولنا محمد ﷺ**.

إلى رمزي البذل والعطاء، والدي الكريمين أبي الغالي رحمه الله، **وأمي الحنون** حفظها الله.

إلى رفيقة دربي **زوجتي** العزيزة **حفظها** الله.

إلى أبنائي وبناتي **روان وبراء ورزان ومحمد ورؤى وريماس حفظهم** الله

إلى من حبهم يجري في عروقي، يلهج بذكراهم فؤادي **إلى أخوتي وأخواتي رعاهم الله.**

إلى **بنت الأخت الغالية صابرين.**

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معاً، نحو النجاح والإبداع **إلى زملائي.**

إلى من علمونا حروفاً من ذهب، وكلمات من درر، وعبارات من أسمى عبارات العلم، إلى من صاغوا لنا علمهم حروفاً، وفكرهم منارةً؛ تُنير لنا سيرة العلم والنجاح، إلى **أساتذتي الكرام.**

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله رب العالمين، أشكره ﷻعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ووفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، وامتثالاً وعملاً بقول الله ﷻ: ﴿**قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾ [الأحقاف: 15]، وقوله ﷺ:**(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**[1].واعترافاً بالجميل والامتنان، لأهل الفضل والعرفان من العلماء الأجلاء، الذين أناروا دروب الحرية، وبنوْا جامعتنا الأبيّة، وخرّجوا الأجيال الفتيّة؛ فإنه ليسُرُّني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لفضيلة الدكتور: "**رياض محمود قاسم**" الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، حيث كان لي نعم الأخ والمُوجِّه؛ فلم يألُ جهداً في تقديم نصائحه وتوجيهاته السديدة والقيّمة، ولما خصّني به من وقته الكثير وعلمه الوفير، وبعمق نصائحه الصائبة التي سرت على منوالها، فله مني كل الاحترام والتقدير، فأسأل الله أن يبارك في علمه، وينفع به الإسلام والمسلمين، وجزاه الله عنّي وعن المسلمين خير الجزاء.

كما وأتقدّم بالشكر الجزيل إلى عضوي لجنة المناقشة، أستاذي الكريمين: الدكتور: **زهدي محمد أبو نعمة**، وفضيلة الدكتور: **فايز حسان أبو عمرة**؛ الذين تفضّلا بقبول مناقشة هذا البحث، ليُثرياه بملاحظاتهما القيّمة، وتوجيهاتهما السديدة، والنافعة، فجزاهم الله عنّي وعن المسلمين خير الجزاء.

كما أسدي شكري وتقديري وعرفاني بالجميل لجامعتي الغراء **(الجامعة الإسلامية)** ولكلياتها وبالأخص **(كلية أصول الدين)**، وأساتذتي الأفاضل الذين غرسوا فيّ حبّ العلم الشرعي، ولكل من علمني منذ الصغر، ولا أنسى الدور الذي قام به الإخوة الكرام في المكتبة المركزية، جعلهم الله عوناً للإسلام والمسلمين، وشكري موصول لكل من أسهم معي في إنجاز هذا العمل بالمعلومة، أو المشورة أو النصح، أو الدعم، فجزآهم الله عني جميعاً خير الجزاء، وأنعم عليهم بوافر الصحة، وكمال العافية في الدين والدنيا والآخرة.

وأخيراً الله أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولاً، وأن ينفع به.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح1954،(339/4)، قال الشيخ الألباني: صحيح ، صحيح الجامع(579/1).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع لعباده من الأحكام ما فيه صلاح أمورهم في دينهم ودنياهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحابته، ومن دعا بدعوته واتبع هديه وسار على نهجه وشريعته إلى يوم الدين، وبعد،،،

إنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله في أوجز لفظ، وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، وتحدّى الله به الإنس والجن، قال تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾** [الإسراء: 88]

فكان بذلك حجة على الناس في كل عصر ومصر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن تمام هذه المعجزة أنّ الله تكفّل بحفظه من التغيير والتبديل، ومن الزيادة والنقصان **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [سورة الحجر: 9]

هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة، هو روحها وباعثها، وهو قوامها وكيانها، وهو حارسها وراعيها، وهو بيانها وترجمانها، وهو دستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة، كما يستمد منه الدعاة، وسائل العمل ومناهج الدعوة وزاد الطريق.

ومعجزةُ القرآن الخالِدة أنه نزل قبل أربعة عشر قرناً، وخاضَ بهذه الأمة معركةً كُبرى حوَّلت تاريخَها وتاريخَ البشريَّة كلَّه معها، ومع ذلك فهو يُعايِشُ الحياة الحاضِرة وكأنَّما هو يتنزَّلُ اليوم لتوجيه المُسلمين في أحداثِهم الراهِنة، وفي صِراعهم مع الأحداث حولَهم، ومن هنا كانت هذه **الدراسة الموسومة بـ**

﴿الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم﴾

من سورة آل عمران من الآية (93-170)

عسى أن تكون مساهمة في خدمة العلم الشرعي، والله أسال أن يوفقني لما فيه الخير، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، وصلِ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أولاً: أهمية الموضوع:

1. ربط حياة الداعية المسلم بمنهج الله عز وجل في شئون حياته كافة.
2. يُعد علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها؛ لأنه يتعلق بأشرف الكتب وأعظمها، ألا وهو القرآن الكريم، الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ، وجعله معجزته الخالدة إلى يوم القيامة.
3. تلبية لأمر الله ﷻ في التدبر والتفكر في آياته.
4. تقديم العلاج المناسب والنافع للمشاكل والأدواء التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك عن طريق بيان وإبراز الأهداف والمقاصد التي تحتويها الآيات القرآنية.
5. إن التعرف على مقاصد الآيات والسور هو المنهج السليم الذي يجعل معنى كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع:

1. ابتغاء مرضاة الله وخدمة كتابه.
2. إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية يستفيد منها طلاب العلم.
3. إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً الداعية الى الثبات في زمن المحن والخطوب الجسام.
4. إبراز ما تناولته سورة آل عمران من موضوعات متنوعة ومختلفة، في تقرير كيفية الثبات العملي من خلال غزوة أُحد.

ثالثاً: أهداف البحث:

1. الربط بين الجوانب التحليلية والموضوعية للآيات.
2. إظهار الوحدة الموضوعية في السورة، في الدعوة للثبات.
3. إظهار المقاصد العامة والأهداف الحقيقية التي تريد آيات الدراسة إرسائها في المجتمع الإسلامي .
4. إظهار الموضوعات التي تعرض لها الحزب ومحوره الرئيس.
5. تعريف الأُمة الإسلامية بدورها المطلوب ودورها العالمي في قيادة الأمم، قال تعالى:﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران :110].

رابعاً: الجهود السابقة:

من خلال مراسلة مركز الملك فيصل، وبعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الانترنت، لم أعثر على أي رسالة علمية تناولت هذا الموضوع في إطار دراسة علمية متخصصة محكمة.

وبعد البحث والتدقيق، تبين لي أن هناك من تناول سورة آل عمران من جهات أخرى خارجة عن الموضوع الذي اخترته، ومن هذه الأبحاث:-

- ❖ معالم الجماعة المسلمة في سورة آل عمران ، وهو رسالة ماجستير من إعداد الباحث: أحمد عايش حبيب، بإشراف: الدكتور/ وليد محمد العامودي،1422هـ/2002م.

وستكون هذه الدراسة حلقة من حلقات السلسلة التي أقرَّها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم، ولذا كان نصيبي من هذه الدراسة الحزب السابع من سورة آل عمران.

خامساً: منهج الباحث:

1. تقسيم الحزب السابع إلى مقاطع متناسبة في المعاني.
2. كتابة الآية القرآنية مدار البحث مشكلة برواية حفص عن عاصم.
3. الدراسة التحليلية لكل مقطع على حده، ويشتمل على: مناسبة المقاطع مع بعضها ،التحليل اللغوي، إظهار اللطائف بلاغية، إعراب ما يلزم، بيان أسباب النزول، القراءات والنسخ إن وجد.
4. استخدم الباحث المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، وذلك بتحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف، وتحليلها.
5. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها الأصلية، مع بيان الحكم عليها إن كانت من غير الصحيحين (البخاري ومسلم) ما استطعت إلى ذلك سبيلا.
6. بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث، وذلك في حواشي الصفحات.
7. الرجوع إلى كتب اللغة مثل لسان العرب لابن منظور ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس.
8. عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها، بما يحقق الأمانة العلمية، مع توثيقها حسب الأصول.
9. الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة في البحث.
10. اكتفي في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، واترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع؛ وذلك تخفيفاً عن الحاشية.

11. إعداد الفهارس الخمسة (للآيات والأحاديث والأعلام والمصادر والموضوعات) اللازمة لخدمة البحث، وتسهيل الوصول إلى المعلومات.

سادساً: خطة البحث:

﴿الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم﴾

من سورة آل عمران من الآية (93- 170)

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس، وقد قسمته على النحو التالي:

التمهيد

تعريف عام بسورة آل عمران.

ويشتمل على المسائل الآتية:

- **أولاً:** تسمية السورة وفضلها وعدد آياتها.
- **ثانياً:** زمن نزول السورة.
- **ثالثاً:** محور السورة وخطوطها الرئيسة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية(93-112)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (93-97)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تكذيب اليهود في دعاوى حول سيدنا يعقوب عليه السلام.
- **المطلب الثاني:** الرد على اعتراض اليهود على تحويل القبلة.
- **المطلب الثالث:** مقام إبراهيم عليه السلام ومنزلة البيت الحرام.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (98-100)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** التنديد بأهل الكتاب لكفرهم وصدهم عن سبيل الله.

- **المطلب الثاني:** تحذير الأُمة المسلمة من طاعة أهل الكتاب.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية(101-112)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** دعوة القرآن للمؤمنين بتقوى الله ﷻ.
- **المطلب الثاني:** الحفاظ على الشخصية الإسلامية والاعتصام بالقرآن.
- **المطلب الثالث:** فلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.
- **المطلب الرابع:** خيرية أُمة محمد ﷺ.
- **المطلب الخامس:** تثبيت المؤمنين وبيان أن ما حل باليهود من الذل والصغار بسبب بغيهم.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية(113-132).

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية(113-117)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** عدالة الإسلام مع أهل الكتاب.
- **المطلب الثاني:** مصير أعمال الكافرين يوم القيامة.
- **المطلب الثالث:** ضرب الأمثال لبيان حال الكافرين.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (118-120)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** تحذير الأُمة من موالاة الأعداء.
- **المطلب الثاني:** تثبيت المؤمنين.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (121-132)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** وصف غزوة أُحد.
- **المطلب الثاني:** التعامل بالربا سبب الهلاك واجتنابه سبب الفلاح.
- **المطلب الثالث:** طاعة الله ورسوله ﷺ سبب الرحمة الإلهية.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية (133-152)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (133-136)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الأمر بالمسارعة والمنافسة في الخيرات.
- **المطلب الثاني:** صفات المؤمنين.
- **المطلب الثالث:** الاعتبار بمصائر الأمم السابقة.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (137- 144)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** مواساة المؤمنين بعد أُحد.
- **المطلب الثاني:** سُنة الابتلاء لتمحيص المؤمنين ومحق الكافرين.
- **المطلب الثالث:** التحذير من الانقلاب على الأعقاب.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (145-152)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** ثبات أتباع الأنبياء على الحق وصبرهم.
- **المطلب الثاني:** عاقبة طاعة الكافرين الخسران المبين.
- **المطلب الثالث:** الوعد الإلهي بالنصر والتمكين للمؤمنين.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية(153-170)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (153-155)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** أهمية السكينة والأمن في ثبات المؤمنين.
- **المطلب الثاني:** وسوسة الشيطان وإغواؤه من أسباب الهزيمة في غزوة أُحد.
- **المطلب الثالث:** دور المنافقين في تثبيط المؤمنين.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (156-168)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** العفو ولين الجانب والشورى من صفات القيادة الرشيدة.
- **المطلب الثاني:** إن ينصركم الله فلا غالب لكم.
- **المطلب الثالث:** رضوان الله ورحمته بعباده وارساله محمدﷺ من نعم الله عليهم.
- **المطلب الرابع:** ما أصاب الناس من مصائب فهي بإذن الله .
- **المطلب الخامس:** المنافقون أقرب للكفر منهم الإيمان.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (169-170)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الشهادة :دلالتها وأنواعها.
- **المطلب الثاني:** مآثر و ثمرات الشهادة.
- **المطلب الثالث:** نماذج من شهداء أُحد.

الخاتمة

ختم الباحث بحثه بذكر أهم النتائج التي توصل إليها في دراسته، وبيان لأهم التوصيات.

كما وقام الباحث أيضاً بعمل الفهارس العلمية للبحث وهي:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر.

5- فهرس الموضوعات.

وبالله التوفيق، وهو المستعان وعليه التّكلان

التمهيد

تعريف عام بسورة آل عمران

ويشتمل على المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: فضل السورة وتسميتها وعدد آياتها
- المسألة الثانية: زمن نزول السورة
- المسألة الثالثة: محور السورة وخطوطها الرئيسة

المسألة الأولى: فضل السورة

ورد في فضل سورة آل عمران جملة من الأحاديث، ومن الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضلها ما يأتي:

1- عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ[1]ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ[2]أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ[3]أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)**[4]"[5].

2- عن النَّوَّاسَ، بْنَ سَمْعَانَ الْكِلاَبِيَّ[6] يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:**(يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ ". وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِﷺ ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ " كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ[7] بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا)**[8].

---

(1) **أبو أمامه الباهلي (ت:81 هـ)**

هو صدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي، غلبت عليه كنيته، صحابي، كان مع علي في (صفين)، توفي في أرض حمص سنة 81هـ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر(9/7)، والطبقات الكبرى، ابن سعد(411/7)، والاستيعاب في معرفة الصحابة، ابن عبد البر(9/2).

(2) **الغمامة:** بالفتح السحابة، والجمع غمام وغمائم، وإنما سُمي غماماً؛ لأنه يغم السماء أي يسترها. انظر: لسان العرب، لابن منظور(441/12).

(3) قال الأصمعي: الغياية كل شيء أظل الانسان فوق رأسه، مثل: السحابة والغبرة والظل ونحوه. انظر: لسان العرب، لابن منظور(143/15).

(4) قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة. انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي(29/1).

(5) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح 804(553/1).

(6) **النواس بن سمعان:**

ابن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي له ولأبيه صحبة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر(257/6).

(7) الإشارة بالسواد الى قوة الإظلال. انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي(70/2).

(8) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح 805(554/1).

موقع السورة من القرآن:

سورة آل عمران من السور المدنية الطويلة، وذكر القرطبي مدنيَّتها بالإجماع(1)وهي السورة الثالثة في الترتيب القرآني العثماني بين سور القرآن الكريم، حسب ترتيب المصحف. أما من حيث ترتيب نزولها التاريخي فقد ذكر العلماء أنها نزلت بعد سورة الأنفال.(2)

تسميتها:

سورة آل عمران لها أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد ذكر العلماء والمفسرون لها ثمانية أسماء وهي(3):

1- **آل عمران:** وهو أشهر أسمائها، وهو الذي أُطلق عليها في المصحف، وسبب تسميتها بسورة آل عمران؛ لأن فيها ذكر قصة آل عمران من بدايتها، حيث جاء فيها قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران:33] وقوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[آل عمران:35]. وقد وردت تسميتها بهذا الاسم في عدة أحاديث.(4)

2- **الزهراء:** وفي صحيح مسلم سُميت البقرة وآل عمران الزهراوين(5).قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "سُمِّيَتَا الزَّهْرَاوَيْنِ لِنُورِهِما وَهِدَايَتِهما وَعَظِيم أَجْرِهِمَا".(6)

3- **المجادلة:** لنزول نيف وثمانين آية فيها في محاجة وفد نصارى نجران.(7)

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(1/4)، تفسير ابن زمنين، ابن زمنين، (274/1).

(2) انظر: تنزيل القرآن، ابن شهاب الزهري(30/1)، تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي(62/1) والتفسير الحديث، دروزة(345/7).

(3) انظر: البحر المحيط، أبو حيان(134/3)، روح المعاني، الألوسي(73/2).

(4) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: مصطفى مسلم، (403/1).

(5) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ،ح 805(553/1).

(6) المنهاج شرح صحيح مسلم، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح1337(159/3).

(7) نزل صدر هذه السورة الكريمة إلى بضع وثمانين آية في مخاصمة النصارى، وإبطال مذهبهم، ودعوتهم إلى الدخول في الدين الحق دين الإسلام، وهم وفد نجران، (وفد السيد والعاقب)، كانوا نصارى، وكانوا ستين رجلاً برئاسة العاقب عبد المسيح، الذي لا يصدرون إلا عن أمره ورأيه في أمر دنياهم، والسيد الأيهم ثمالهم أي القائم بنفقاتهم ورحلهم، وابن حارثة بن علقمة أسقفهم أي حبرهم المطاع فيما يتعلق بأمور دينهم. انظر: لباب التأويل، الخازن(334/1)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور،(144/3)، بيان المعاني، ملا حويش(144/3)، السيرة النبوية، ابن هشام(571/1).

وتسمى: الأمان، والكنز، والمعينة، وطيبة[1] والاستغفار.

عدد آياتها:

عدد آياتها مائتان في عد الجمهور[2]، فقد ذكر الفيروز آبادي أن: "عدد آياتها مائتان بإجماع القراء.[3]

المسألة الثانية: زمن نزول السورة

قال **أبو جعفر الطبري**-**رحمه الله**-: "وقد ذُكر أن هذه السورة ابتدأ الله بتنزيل فاتحتها بالذي ابتدأ به من نفي الألوهية أن تكون لغيره، ووصفه نفسه بالذي وصَفها به في ابتدائها، احتجاجاً منه بذلك على طائفة من النصارى، قدموا على رسول الله ﷺ وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما: السيد، والآخر العاقب، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة، فحاجُّوه في عيسى صلوات الله عليه، وألحدوا في الله. فأنزل الله ﷻ في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفاً وثمانين آية من أولها، احتجاجاً عليهم، وعلى من كان على مثل مقالتهم، لنبيّه محمدﷺ فأبوا إلا المقام على ضلالتهم وكفرهم، فدعاهم إلى المباهلة، فأبوا ذلك، وسألوا قَبول الجزية منهم، فقبلها ﷺ منهم، وانصرفوا إلى بلادهم.[4]

المسألة الثالثة: محور السورة وهدفها

محور السورة العام هو إثبات وحدانية الله تعالى، وما يتعلق بذلك من تقرير بشرية عيسى عليه السلام، ووحدة الدين والرسالات، وأهمية طاعة الله ورسوله ﷺ.

---

(1) أخرج سعيد بن منصور عن أبي عاطف قال: اسم آل عمران في التوراة طيبة. انظر: فتح القدير، الشوكاني (469/1)، والدر المنثور، السيوطي(440/3)، البحر المحيط، أبي حيان(134/3).

(2) انظر: البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني(143/1)، التحرير والتنوير، ابن عاشور(144/3).

(3) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي(158/1)، وقد ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير(144/3)، ما يُعَد يُعَد

خرقاً لذلك الإجماع، حيث قال: إن عدد آياتها عند أهل الشام مائة وتسع وتسعون آية، وكان السيوطي في الدر المنثور(141/2) قد سبقه إلى ذلك.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري(151/6)، وأسباب النزول، الواحدي(ص84)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي(179/1).

والسورة تدور حول ثلاث قضايا طويلة[1]، **الأولى** الحوار مع أهل الكتاب الذين يخاصمون الإسلام داخل المدينة، **والثانية** في صدد مواقف اليهود ومكائدهم، **والثالثة** تعليق على غزوة أُحد التي أصابت المسلمين بجرح غائر.[2]

ويتحدد من خلال هذه القضايا عدد من ركائز العقيدة الإسلامية وتشريعاتها، فقد اشتملت هذه السّورة الكلام على ركنين هامين من أركان الدين:

الأول: ركن العقيدة وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله ﷻ.

الثاني: التشريع وبخاصة فيما يتعلق بالمغازي والجهاد في سبيل الله.

أولاً: جانب العقيدة

تناولت الآيات الكريمة أدلة الوحدانية، والنبوة، وإثبات صدق القرآن ."ويتضمن هذا الجانب إيضاحات قوية لأسس التصور الإسلامي من ناحية العقيدة، وإلى جانبها إيضاحات قوية كذلك في طبيعة هذه العقيدة وآثارها في الحياة الواقعية، هذه الآثار الملازمة للإيمان بها يمكن بيانها من خلال النقاط التالية".[3]

1- الإيمان بالله تعالى:

أثبتت الآيات وحدانية اللّه تعالى، وأنه وحده الحي الذي لا يدركه الفناء[4]."وتضمنت الآيات ثلاثة أصول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه قائمٌ بالقسط، وأنه العزيز الحكيم، فتضمنت وحدانيته المنافية للشرك، وتضمنت عدله المنافي للظلم، وتضمنت عزته وحكمته المنافية للذل والسفه، وتضمنت تنزيهه عن الشرك والظلم والسفه، ففيها إثبات التوحيد، وإثبات العدل، وإثبات الحكمة، وإثبات القدرة"[5].قال تعلى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:18].

2- الإيمان بوحي السماء والإيمان برسل الله:

---

(1) **القسم الأوَّل** من السُّورة (الحرب العقدية الفكرية أو حرب الشبهات)، ويتمثل في الحوار مع أهل الكتاب وهو الأطول (120 آية) ويكاد يصل إلى ثلثي السُّورة و جزء من خاتمتها، والَّذي يناقش وفد نصارى نجران (من بداية السورة إلى الآية: 80)، وشبهات أهل الكتاب (من الآية 81- الآية 120)، **والقسم الثَّاني** (الحرب الماديَّة المباشرة أوِ القتال)، ويُلقي الضَّوء على غزوة أُحد (من الآية 121- نهاية السورة).

(2) انظر: نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي(23/1)، والتفسير الحديث، محمد عزت دروزة(105/7).

(3) في ظلال القران، سيد قطب (332/1).

(4) انظر: نظم الدرر، للبقاعي(473/1)، في ظلال القران، سيد قطب (332/1)، التفسير المنير، الزحيلي(141/3).

(5) مجموع الفتاوى، ابن تيمية(181/14 وما بعدها).

تنتقل السورة الكريمة إلى تأكيد إيمان المسلم بجميع الرسالات السماوية، وبجميع أنبياء الله ورسله دون أدنى تفريق، مؤكدة أن رسالتهم جميعاً واحدةً، ألا وهي الإسلام العظيم، الذي بُعث به كل نبيٍ وكل رسولٍ. ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:84]

3- الإيمان بأن القرآن يضم آياتٍ محكماتٍ وأُخر متشابهات:

المحكم يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه، والمتشابه يجب الإيمان به ويُفوض أمر تأويله إلى الله منزله.[1]﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [آل عمران:7].

4- الإيمان بأن كل نفس ذائقة الموت:

وفي السورة أيضاً ذكر حقيقة الموت، وأنه مصير كل نفس، والثواب يوم القيامة، والابتلاء في الدنيا[2] ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[آل عمران:185].

5- الإيمان بأن الدين المقبول عند الله هو الإسلام:

وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يُقبل دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام، ومناقشة النصارى في شأن المسيح وألوهيته والتكذيب برسالة الإسلام، واستغرقت المناقشة قرابة نصف السورة.[3] ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [آل عمران:19].

6- طاعة الله ﷻ واتباع رسوله ﷺ ومنهجه[4]:

قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٢] "فطريق الرحمة والمغفرة سلوك طاعة الله ورسوله"[5] .

(1) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري(151/1)، أغراض السور في التحرير والتنوير، محمد الحمد، (ص 16).

(2) انظر: التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(412/1)، أنوار التنزيل، البيضاوي(421/1).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(144/3)، التفسير المنير، الزحيلي(141/3).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(332/1).

(5) القواعد الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي(49/1).

والطاعة المذكورة في هذه الآية ونحوها من نصوص الوحي، محصورة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.(1)

7- الإيمان بخيرية أُمة الإسلام:

دليل على أن هذه الأُمة الإسلامية خير الأُمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأُمة، وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأُمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها.(2) لقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران:110].

8- الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن الابتلاء سُنة:

قد يُصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب؛ بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في طاعة الله ورسوله، كما لحقهم يوم أُحد، وكذلك ما امتحنوا به من الضراء، وأذى الكفار لهم ليس هو بسبب نفس إيمانهم ولا هو موجبه، وإنما امتحنوا به ليخلص ما فيهم من الشر، فامتحنوا بذلك كما يمتحن الذهب بالنار؛ ليخلص من غشه.(3) كما قال تعالى:﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾[آل عمران: 141].

ثانياً: الجانب التشريعي

أبانت الآيات بعض أحكام الشرع مثل:

1- تحريم اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين:

تضمنت السورة النهي من الله تعالى للمؤمنين، عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة، كما تضمنت إشارات إلى اليهود وتعداد قبائحهم وجرائمهم، والتحذير من مكائد أهل الكتاب.(4) قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[آل عمران: 118].

(1) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي(304/7).

(2) فتح القدير، الشوكاني(11/2).

(3) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم (165/1).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي(127/1)، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي (108/1)، والتفسير المنير، الزحيلي(141/3).

2- تحريم افتراء الكذب على الله:

بين القرآن الكريم من خلال سورة آل عمران، بأن العلاقة بين الناس وربهم لا تقوم على الدعوى الكذوب، بل على الخُلق العالي، وعلى الوفاء والتقى[1] لقوله ﷻ:﴿**بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: 76] ولقوله: ﴿**فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[آل عمران: 118].

3- تحريم الردة في الإسلام:

الردة تُحبط العمل، لذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران تتوعد من ارتد عن دين الاسلام بأشد أنواع العذاب. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾"[2][آل عمران: 86] ولما انهزم المسلمون يوم أُحد، وشج وجه النبي ﷺ، وكسرت رباعيته، ارتد طائفة نافقوا، قال ﷻ: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:139] [3].

4- وجوب الإنفاق في سبيل الله:

تناولت السورة المال ودوره الهام من حيث الإنفاق والحث عليه، ومن هداية الآيات أن العبد لن يبلغ برّ الله ﷻ حتى ينفق من أحب أمواله اليه، و(البر) الجنة؛ لأن بر الربّ بعبده في الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة.[4] قال تعالى:﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران:92].

5- فريضة حج البيت من استطاع إليه سبيلا:

جعل الله الكعبة أول بيت وضع للناس، وأوجب حجه على المؤمنين [5]، قال تعالى:﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران:97].

---

(1) انظر: نحو تفسير موضوعي، الغزالي(28/1).

(2) قبس من نور القرآن، الصابوني(142/1).

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية(279/7)

(4) انظر: جامع البيان، الطبري(587/6)، أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري(184/1)، التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(413/1).

(5) انظر: جامع البيان، الطبري(9/6)، التفسير المنير، الزحيلي(16/4)، أغراض السور في التحرير والتنوير، محمد الحمد (ص: 17).

6- تحريم أكل الربا تحريماً قاطعاً:

من شأن هذا النظام أن يُفسد الحياة النفسية والخلقية، كما أن من شأنه أن يُفسد الحياة الاقتصادية والسياسية، ومن ثم تتبين علاقته بحياة الأُمة كلها، وتأثيره في مصائرها جميعاً.(1) قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:130].

7- تحريم التولي يوم الزحف:

"أخبر سبحانه وتعالى عن تولي من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم، وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم استزلهم الشيطان بتلك الأعمال، حتى تولوا فكانت أعمالهم جنداً عليهم، ازداد بها عدوهم قوة".(2) قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[آل عمران: 155].

8- تحريم الغلول:

وهو الأخذ من الغنيمة خفية(3). والآية مقررة لصيانة الأموال العامة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[آل عمران:161].

9- تحريم النفاق:

تحدثت الآيات الكريمة بالتفصيل عن النفاق والمنافقين وموقفهم من تثبيط همم المؤمنين، فيما أصابهم ذلك اليوم، وهو تمحيص الذين آمنوا وتنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ومن آفات النفوس، وأيضاً فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين، فتميزوا منهم فحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم، وتمحيص ممن كان يظهرانه منهم، وهو عدوهم.(4) قال تعالى:﴿ **وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾ [آل عمران:167].

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(445/1).

(2) زاد المعاد، ابن القيم(196/3).

(3) **قال ابن فارس:** (غل) الغين واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تخلل شيءٍ، وثباتِ شيء، فمَنْ قال "لا يُغِلّ" فهو من الإغلال، وهو الخيانة. ومن قال "لا يَغِلّ" فهو من الغِلّ والضِّغن، الغلول في اللغة هو الخيانة، انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس(375/4)، الصحاح في اللغة، الجوهري(24/2).

(4) انظر: زاد المعاد، ابن القيم(196/3).

10- الحث على الاستشهاد في سبيل الله:

نوه بشأن الشهداء من المسلمين، وبيان فضل الشهادة، ومنزلة الشهداء عند ربهم، وأن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة.[1] قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [آل عمران:169-170].

11- فرض الشورى كقاعدة إسلامية في الحكم:

ليثبت هذا المبدأ في حياة الأُمة المسلمة، وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ في حياة الأُمة المسلمة، كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة، ولو كان هو انقسام الصف كما وقع في (أُحد) والعدو على الأبواب، لأن وجود الأُمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ، ووجود الأُمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق.[2] قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ:﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[آل عمران:159]

هدف السورة: الثبات على منهج الحق فكرياً وداخلياً

آيات كثيرة في سورة آل عمران تدعو المسلمين للثبات وعدم الضعف والتخاذل تحت أي ظرف؛ ولأن الثبات أمر خطير ومصيري، فالسورة تحذر من عوامل تزلزل إيمان المؤمن، وتقلّل من مقدرته على الثبات.

كيف نثبت على الحق؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف كيف يزيغ الناس، فالناس يضللون إما بالأفكار التي تشوش عقائدهم، أو يتيهون وسط مشاغل الحياة فتضعف عزائمهم. وبالتالي فأسباب الهلاك فكرية (داخلية) أو عملية (خارجية)، وسورة آل عمران تحث المؤمن على الثبات في المجالين وتحذره مما قد يكون سبباً في زلته.

لذلك تقسم السورة كما أشرت إلى قسمين:

1. القسم الأول: الآيات (1 - 120)

هذه الآيات تَدلنا على كيفية الثبات على الحق فكرياً أمام المؤثرات والأفكار الخارجية، ويتمثل في مناقشة راقية للرسول ﷺ مع أهل الكتاب والحوار معهم، وهو أول حوار بين العقائد

---

(1) انظر: زاد المعاد، ابن القيم(196/3)، أغراض السور في التحرير والتنوير، محمد الحمد (ص: 16) أهداف كل سورة ومقاصدها، عبد الله شحاته(ص:20).

(2) انظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود (348/54).

في القرآن؛ ليعرض معهم أين الحق "فبعد أن عرضَ الله لنا المنهج الذي يجب أن نتبعه في سورة البقرة جاءت سورة آل عمران داعية إلى الاجتماع على هذا المنهج واثبات الدعوة"[1] وكأن جهاد الدعوة يقضى بالثبات، ويوجب على المسلمين مواجهة مشتركة لكيد اليهود داخل المدينة وهجوم الوثنيين عليها[2] ورغم أن غزوة أُحد وقعت قبل حادثة وفد نجران إلا أن ورودها بعدها، إنما هو لتحقيق فكرة الثبات الخارجي أولاً ثم الداخلي، لذلك كان التَّركيز الأكبر في السُّورة على الحرب العقديَّة والرَّدّ على شبهات أهل الكتاب، وأنَّه يكاد يصل إلى ضعف ما بيَّنته السُّورة منَ النَّوع الآخر من الحرب، وهو حرب السَّيف والقتال، ولهذا سببٌ مهمٌ وهو أنَّ حرب العقيدة والشُّبهات بلا شكٍّ أشد خطورة بمراحل من حرب السَّيف.[3]

2. القسم الثاني: الآيات (120 - 200)

بعدما ثبت البناء الخارجي ضد الأفكار والشبهات، ينتقل القرآن إلى تثبيت البناء الداخلي، ويعالج القرآن هذا الموضوع بالتعقيب على غزوة أُحد، فيتحدث هذا القسم الثاني من الآية (121 – إلى نهاية السورة) عن كيفية الثبات داخلياً.

وقد بدأت سورة آل عمران بالثبات فكرياً من الخارج لتجهيز البيئة المحيطة، ثم انتقلت للثبات الداخلي للفرد، من خلال غزوة أُحد كنموذج للأخطاء التي قد تقع وكيفية تفاديها؛ لتدلنا على كيفية الثبات العملي، لأنها تركت في نفوس المسلمين أثراً شديداً من جرّاء عصيانهم لأوامر الرسول ﷺ، ونلاحظ تسلسل قصة غزوة أُحد، وتثبيت المسلمين، تأتي على سياق غاية في الحكمة.

والواقع أن السورة تناولت هذين الهدفين من خلال التعليق على حادثتين حصلتا على عهد النبي ﷺ:

- **الحادثة الأولى:** لقاء وفد نصارى نجران مع النبي ﷺ، حين استضافهم في المسجد النبوي وحاورهم لمدة ثلاثة أيام.
- **الحادثة الثانية:** غزوة أُحد والهزيمة أمام المشركين، فتأتي ثمانون آية للتعقيب عليها، لأن أكثر المؤمنين لم يثبتوا في الغزوة، ولم يطيعوا أوامر نبيهم ﷺ (وخاصة الرماة).

---

(1) نظم الدرر، البقاعي(473/1).

(2) انظر: نحو تفسير موضوعي، الغزالي(23/1).

(3) انظر: تيسير الكريم االرحمن، السعدي (121/1).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران

من الآية(93–112)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (93 – 97)

- **المبحث الثاني:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (98 – 101)

- **المبحث الثالث:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (102– 112)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (93–97)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:**

تكذيب اليهود في دعاوى حول سيدنا يعقوب عليه السلام

- **المطلب الثاني:**

الرد على اعتراض اليهود على تحويل القبلة

- **المطلب الثالث:**

مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ومنزلة البيت الحرام

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (93-97)

قال تعالى:﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ*قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ*فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران:93-97].

الكلام من أول سورة آل عمران حتى نهاية هذا المقطع، يدور حول إقامة الدلائل على إثبات وحدانية اللّه ﷻ، مع إثبات نبوّة محمد ﷺ، والسياق يُحاجج أهل الكتاب ويبطل مزاعمهم وبدعهم وما استحدثوا في دينهم وتقاليدهم، وجاءت هذه الآيات الكريمة حول البيت الحرام.

المطلب الأول: تكذيب اليهود في دعاوى سيدنا يعقوب عليه السلام.

قال تعالى:﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[آل عمران:93-94].

سورة آل عمران لها علاقة قوية بذكر اليهود، فأغلبها رد على مزاعمهم، فكل ما زعمه اليهود يفنده الله ﷻ ويبينه لنبيه ﷺ. وبعد أن بين ربنا ﷻ ما لا ينفع الكفار، ولا يُقْبل منهم بعد أن اغتروا به، وبين ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم، بعد أن اكتسبوه من حلال، وأنفقوا منه في سبيل الله على حبهم له. قال تعالى:﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[آل عمران:93].

وإذا كان النصف الأول من سورة آل عمران يقوم على الحوار مع أهل الكتاب، وقصص أحوالهم، جاء الحديث هنا عن الأطعمة المحرمة والمحللة، كأن اليهود- والإسلام يعرض عليهم- يتساءلون: كيف نتبع ديناً يستبيح الأطعمة المحرمة علينا، ونحن نبتعد عنها فلا ترى قط على موائدنا؟.

وأُجيبوا بأن الحظر الذى يحترمونه كان موقوتاً وطارئاً، لقد كانت الأطعمة كلها حلاً عليهم، فلما فسقوا حُرِّمت عليهم عقاباً من الله ﷻ. (1)

سبب نزول الآية:

أخرج الواحدي أنها "نزلت حين قال النبيﷺ: إنا على ملة إبراهيمعليه السلام، فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها! فقال النبي ﷺ: كان ذلك حلالاً لإبراهيمعليه السلام، فنحن نحله، فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه، فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم عليهم السلام، حتى انتهى إلينا. فأنزل الله ﷻ تكذيباً لهم:﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾". (2)

مناسبة الآية لما سبق: لهذا السياق مناسبتان.

المناسبة الأولى:

إن يعقوب عليه السلام، حرّم أحب الأشياء إليه وتركها لله، وكان هذا سائغًا في شريعتهم، فله مناسبة بعد قوله: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران:92]، فهذا هو مشروع عندنا، وهو الإنفاق في طاعة الله مما يحبُّه العبد ويشتهيه، كما قال: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ**﴾[البقرة:177] وقال:﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**﴾ [الإنسان:8].(3)

المناسبة الثانية:

لما تقدم السياق في الرد على النصارى، ومحاجتهم في ملة إبراهيم عليه السلام، وكان مما أنكروا على نبينا ﷺ أكل لحوم الإبل وادعوا أنه خلاف ملة إبراهيمعليه السلام، شرع في الرد على اليهود قبحهم الله، ناسب أن يذكر رد دعواهم ذلك عقب تلك المحاجة(4).

وقد جاءت هذه الآيات وما بعدها حول البيت الحرام للرّد على شبهةٍ لليهود:

الشبهة : قال يهود للنبي ﷺ كيف تدعى أنك على دين إبراهيم، وتأكل ما هو محرم في دينه من لحوم الإبل وألبانها؟.(5)

---

(1) انظر: نحو تفسير موضوعي، الغزالي(28/1).

(2) أسباب النزول، للواحدي(76/1).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(76/2).

(4) انظر: روح المعاني، الألوسي(131/3).

(5) انظر: مدارك التنزيل، النسفي(170/1)، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا (3/4) والتفسير المنير، الزحيلي(4/4).

الرد على هذه الشبهة:

1. قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية:

"يعني بذلك جل ثناؤه: أنه لم يكن حرمَ على بني إسرائيل، وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة. بل كان ذلك كله حلالاً، إلا ما كان يعقوب حرمه على نفسه، فإن ولده حرموه استناناً بأبيهم يعقوب، من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل، ولا على لسان رسولٍ له إليهم من قبل نزول التوراة".[(1)]

2. كان يجب على يهود أن يفهموا أن الإبل وألبانها حتى وإن كانت محرمة من قبل، إلا أن محمد ﷺ قد جاء من عند الله بتشريع له ناسخ لما قبله، مع أنّ الإبل وألبانها لم تكن محرمة، لذلك أمر رسول الله ﷺ بأن يحتكم إلى التوراة. وهذه هي العظمة النورانية المحمدية، فلا يمكن أن يقول ﷺ نحتكم إلى التوراة، إلا وهو واثق أن التوراة إنما تأتي بالحكم الذي يؤيد ما يقول، مع أنه لا يقرأ ولا يكتب، ويحضرون التوراة، فيجدون الكلام مطابقاً لما قال رسول الله ﷺ، لذلك قال الله ﷻ: ﴿**كُلُّ الطعام كَانَ حِلاًّ لبني إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ**﴾.[(2)] **قال الزجاج:** "في هذه الآية أعظم دلالة لنبوة محمد نبيناﷺ" .[(3)]

3. غرضهم من إثارة هذه الشبهة؛ تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم، والصدّ عن سبيل الله، فلما حاجّهم بكتابهم وبكَّتهم بُهتوا وانقلبوا صاغرين، ولم يجسر أحدٌ منهم على إخراج التوراة.[(4)]

4. قَوْلُهُ:﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ**﴾ تصريح بمحل الحجة من الردِّ، إِذِ المقصود تَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَا تَنَاسَوْهُ فَنُزِّلُوا منزلة الجاهل بكون يعقوب ؈ كان قبل مُوسَى؈ إذ التوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم ويعقوب بقرون عدة، وهذه المحرمات إنما حرمت عليهم في صورة عقوبة على بعض مخالفاتهم، وظُلمهم واعتدائهم؛ فحرم عليهم أنواعاً من الأطعمة.[(5)] كما قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً**﴾ [النساء:160].

---

(1) جامع البيان، الطبري(7/6).

(2) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(1082/1).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(135/4)،وأحكام القرآن، الجصاص(301/2)

(4) انظر: الكشاف، الزمخشري(297/1).

(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(9/4).

وقد بين ﷻ في سورة الأنعام ما الذي حرمه عليهم فقال: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [الأنعام:146].

5. الفاصلة في قَوْلُهُ: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾ جاءت زيادة في التحدي والتكذيب لهم؛ لأن معنى الفاصلة أنهم كاذبون، حيث لم يستطيعوا أن يأتوا بالتوراة، وبذلك فقد كذبوا(1) وانتقلت يهود من حالة مخالفة حكم الله، إلى حالة القول على الله بغير علم، ولذلك قال تعالى:﴿ **فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[آل عمران: 94](2).

ولما ذكرت الآية كذبهم، بعد الافتراء على الله جاءت الفاصلة الثانية في قوله تعالى: ﴿ **فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾؛ لتدلل على أن الافتراء والكذب ظلم، ثم يهدد من يفتري الكذب منهم على الله بأنه ظالم، لا ينصف الحقيقة، ولا ينصف نفسه، ولا ينصف الناس.(3) وجاء اسم الإشارة " **أولئك**" تحقيراً لهم ولبيان بُعد مكانتهم، أما الضمير "**هم**" فجاء لتأكيد تسجيل الظلم المستحق عليهم مرة بعد مرة.

المطلب الثاني: الرد على اعتراض اليهود على تحويل القبلة

قال ﷻ :﴿ **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران:95-96]

ووجه ربطها بما قبلها أن الله تعالى أمرهم باتباع ملة إبراهيم ﷺ، ومن ملَّته تعظيم بيت الله تعالى الحرام، فناسب ذكر البيت وفضله وحرمته، وهذه شبهة ثانية ادعوها فأكذبهم الله تعالى فيها كما أكذبهم في سابقتها.(4)

---

(1) **الفرق بين الكذب والافتراء:** الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع. والافتراء: أخص منه؛ لأنَّه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يقال لمن قال: فعلت كذا ولم أفعل كذا، مع عدم صدقه في ذلك هو كاذب، ولا يقال هو مفتر، وكذا من مدح أحداً بما ليس فيه، يقال إنه كاذب في وصفه، ولا يقال هو مفتر؛ لأنَّ في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالباً. وقال سبحانه حكاية عن الكفار: ﴿**افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ [الأنعام: 93] انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص:449).

(2) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا(6/4).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(40/1).

(4) انظر: روح المعاني، الألوسي(134/3).

وذلك لأنه لما حول القبلة إلى الكعبة طعن اليهود في نبوته ﷺ وقالوا إن بيت المقدس أفضل من الكعبة، واتخذوا من هذا التحويل(تحويل القبلة) ذريعة لإنكار رسالة النبي ﷺ[1]

سبب النزول:

قال مجاهد: "تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة؛ لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية". [2]

فالشبهة التي أثارها أهل الكتاب: ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها في الصلاة ووجوب حجها.

الرد على هذه الشبهة:

1) إن الكعبة هي بيت إبراهيم عليه السلام؛ وهي أول بيت وُضع للناس في الأرض للعبادة، فالاعتراض عليه مستنكر ممن يدعون وراثة إبراهيم.

2) أجاب عن الشبهة بقوله:﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾، فعند هذا تمت وظيفة الاستدلال، وكمل الجواب عن شبهات أرباب الضلال، فخاطبهم بالكلام اللين، وقال: ﴿ **لِمَ تَكْفُرُونَ بآيات الله**﴾ بعد ظهور البينات وزوال الشبهات، وهذا هو الغاية القصوى في ترتيب الكلام وحسن نظمه، وكذلك لما بين ﷻ فضائل الكعبة ووجوب الحج[3] والقوم كانوا عالمين بأن هذا هو الدين الحق والملة الصحيحة، قال لهم: ﴿**لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله**﴾ بعد أن علمتم كونها حقة صحيحة.[4]

3) لما قال الله ﷻ:﴿**فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ**﴾ من قال وتَزعم كذباً بعد أن بينه الله ﴿**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ فلما كان ما يفترونه من الكذب بعد قيام الحجة عليهم بكتابهم باطلاً

---

(1) **الحكمة من تحويل القبلة، من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة،** أن النبيﷺ كان يتشوق لتحويلها؛ لأنها قبلة أبيه ابراهيم الخليل عليه السلام وكان يكثر من ترديد بصره الى السماء يترقب نزول الوحي عليه في أمر تحويل القبلة، وهناك سبب آخر لشوق النبي ﷺ هو أن اليهود الخبثاء كانوا يقولون: ما أغرب أمر محمد، يخالف ديننا ويتوجه في صلاته الى قبلتنا، ولولا ديننا لم يدر أين يتوجه في صلاته. انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني(40/1).

(2) أسباب النزول، للواحدي(76/1).

(3) دلت الآيات على أن مَن جحد وجوب الحج كفر؛ وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلي ويصوم لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران:96-97]، انظر: شرح كتاب كشف الشبهات، صالح الفوزان(90/1).

(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(320/4).

مدفوعاً، وكان ما قصّه الله سبحانه في القرآن، وصدقته التوراة صحيحاً صادقاً، وكان ثبوت هذا الصدق بالبرهان الذي لا يستطيع الخصم دفعه، أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بأن ينادي بصدق الله بعد أن سجل عليهم الكذب، فقال: ﴿**قُلْ صَدَقَ الله فاتبعوا مِلَّةَ إبراهيم**﴾. [آل عمران:95]

4) عندما يقول الله ﷻ: **(قل)** صدق الله فيما أنبأني به من عدم تحريم شيء على إسرائيل قبل التوراة، وقامت الحجة عليكم بذلك، فثبت أنني مبلغ عنه، إذ ما كان لي لولا وحيه أن أعرف صدقكم من كذبكم فيما تحدثون به عن أنبيائكم، وإذ كان الأمر كذلك فاتبعوا ملة إبراهيم التي أدعوكم إليها حال كونه حنيفاً لا غلو فيما كان عليه ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط، بل هو الفطرة القويمة، والحنيفية السمحة.(1)

المطلب الثالث: مقام إبراهيم عليه السلام ومنزلة البيت الحرام

قوله تعالى: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران:97]

اتجهت الآيات إلى وصف المسجد الحرام بأنه ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾ وهو دليل قاطع على أن هذه الأُمة أولى بإبراهيم عليه السلام من غيرها، فهي التي حفظت آثاره واتبعت آثاره، ووصفْ البيت بأنه أمان لمن دخله. (2) والنصوص الشرعية والشواهد الحسية العديدة تؤكد خصوصية الحرم المكي، وكرامته، وشرفه. عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)**.(3)

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا(6/4).

(2) انظر: التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء، (488/1).

(3) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، ح 1395(1013/2).

ومن موافقات عمر اتِّخاذ المقام مصلًّى مِمَّا أشار به على رسولِ الله ﷺ فنزلت الآيةُ في ذلك.[1] ووصف هذا البيت بأنواع الفضائل، **فأولها:** أنه أول بيت وضع للناس، فهو أول المساجد على سطح المعمورة. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله (أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه). [2]

وثانيها: أنه تعالى خصه بالآيات الباهرات، والدلائل الساطعات، ووصفه بكونه مباركاً، والبركة لها معنيان **أحدهما:** النمو والتزايد **والثاني:** البقاء والدوام **والصفة الثالثة:** من صفات هذا البيت كونه ﴿**هُدًى للعالمين**﴾ [3] وما خصه الله به من الأمن والاستقرار. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب، قول الله تعالى ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء:125] ح3115،(152/11).

(2) وهذه القضية إحدى القضايا التي جاء فيها القرآن مؤيّداً لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روى البخاري عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾[البقرة:]125وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ(الأحزاب:53) وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ** ﴾[التحريم:5] فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " وزاد في رواية مسلم " وفي أسارى بدر). انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(201/6).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي(314/4).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (98– 101)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:**

التنديد بأهل الكتاب لكفرهم وصدهم عن سبيل الله

- **المطلب الثاني:**

تحذير الأُمة المسلمة من طاعة أهل الكتاب

المبحث الثاني
المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (98- 101)

قال تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[آل عمران:98-101]

هذا البيان يندد بأهل الكتاب؛ لكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله، ورفضهم الاستقامة، وميلهم إلى الخطة العوجاء، وهم يعرفون الحق ولا يجهلونه.

المطلب الأول: التنديد بأهل الكتاب لكفرهم وصدهم عن سبيل الله

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 98-99]

مناسبة الآيات لما سبق:

لما أقام الله ﷻ الحجة على أهل الكتاب، وأورد أدلة نبوة محمدﷺ، وكونه على ملة إبراهيم عليه السلام واعتراضهم على ذلك، وإبطال شبهاتهم ومزاعمهم، ووبَّخَهُم وبكّتهم على إصرارهم على الكفر، وصدهم عن دين اللّه، وابتغائه عوجاً، مستعملاً الخطاب بيا أهل الكتاب، ليدعوهم باللين إلى تغيير موقفهم من كفرهم بالآيات التي تدلل على كون بيته ﷻ أول بيت وضع لعبادته، وعلى بناء إبراهيمعليه السلام له، ومن دعوة محمد ﷺ وإيمانهم برسالته، مع علمهم بصدقه وصحة ما جاء به.[1]

والاستفهام للتوبيخ والإشارة إلى تعجيزهم عن إقامة العذر في كفرهم [2]، "وهذا تعنيف من الله تعالى لكَفَرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصَدِّهم عن سبيله مَنْ أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم".[3]

---

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي(22/4)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا(12/4).

(2) انظر: روح المعاني، الألوسي(148/3)، قبس من نور القرآن، الصابوني(146/1).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(85/2).

"وكرر الخطاب والاستفهام مبالغةً في التقريع ونفي العذر لهم، وإشعارًا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب".[1]

فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعُدة، وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين، وحين يعيبهم أن يحاربوها بأنفسهم، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، لتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعاً غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها.[2]

إن الصدُّ عن سبيل الله جرثومةٌ قديمة، زرَعها الكفَّار، ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[فصلت: 26]. ثم تولَّى سقيها ورعايتها المنافقون، ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[المجادلة:16]. والصدُّ عن سبيل الله معركة متجدِّدة، وعداوة باقية، وأسلوبٌ متواصًى به، ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾[الذاريات: 53]. وقول الحقِّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[الأنفال:36].

وهذه الآية تختم القسم الأول من السورة الكريمة، وهو القسم المخصص لمناقشة أهل الكتاب والرد على شبهاتهم وبيان دسائسهم ومكرهم.

صور الصد عن سبيل الله:

صُوَر الصدِّ عن سبيل الله كثيرة ومُتعدِّدة، وقد اتبع الصادُّون عن سبيل الله أساليب مختلفة للصد عن سبيل الله، ومن وسائلهم: التعليم، والأندية، ودور اللهو المحرّم والمسكرات، والإعلام، والمؤسسات الاقتصادية، والجاه والسلطة، والتحالفات الأمنية والعسكرية، والصدِّ عن بعض تشريعات الإسلام، ومحاربتها ومَنْعها، والتضييق على أهلها، كالحجاب والنقاب، والأذان وحَلقات القرآن.

(1) أنوار التنزيل، البيضاوي(372/1).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(406/1).

وفي قوله تعالى:﴿ **لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا**﴾[1] لفتة ذات مغزى كبير، فسبيل الله هو الطريق المستقيم، وما عداه عوج غير مستقيم، إن صدهم عن الإسلام كان بضروب من المكايد والمكر والحيل الخفية. [2]

ومن صور الصد:

1. محاولة أهل الكتاب إبعاد المسلمين عن دين الله ﷻ، وقطع صلتهم به، بكل وسيلة ممكنة، فضلاً عن تشويه صورته، وإلصاق التهم والأكاذيب به.[3]
2. إلقاء الشبهات الباطلة في قلوب الناس حتى يَشُكّو في دينهم.
3. تشويه صورة الحقِّ وأهله، "ومحاولة إرجاع المؤمنين عن الدين الحق إلى الكفر بالقهر أو بالحيلة".[4]
4. التضييق على صوت الحق وتكميمه، ومنعه من أن يقول كلمته الرشيدة الهادية. "ومحاولة أهل الضلال أن يمنعوا آيات الهُدى من أن تصل إلى آذان الناس"[5]، فيقولون:﴿**لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرآن والغوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[فصلت : 26]
5. فتْحُ باب المحرَّمات على مصراعيه من صور الإغراءات والشهوات، وإشاعة القول الباطل، ونشْر الشبُهات، مع جذْبِ الناس إليها بالدعايات البرَّاقة، والوسائل الجذَّابة، وإلهاء الناس بها عن أصْل وجودهم، وأساس خَلْقِهم.[6]

---

(1) **{عِوَجًا}** زيغاً وميلاً يعني: لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجا، والْعِوَجُ بالكسر في الدين والقول والعمل، وَالْعَوَجُ بالفتح في الجدار، وكل شخص قائم. انظر: لسان العرب، ابن منظور(332/2)، والمصباح المنير، الفيومي(435/2)، أساس البلاغة، الزمخشري(682/1)، جمهرة اللغة، الأزدي(486/1).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(404/1).

(3) انظر: المفصل في شرح آية الولاء والبراء، علي الشحود(360/1).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور(26/4).

(5) تفسير الشعراوي، الشعراوي(1975/1).

(6) **الفرق بين الكفر بالله و الصد عن سبيل الله:** "**فالكفر:** ذنب ذاتيّ يتعلق بالإنسان نفسه، لا يتعدّاه إلى غيره، أما **الصدُّ عن سبيل الله:** فذنبٌ مُتعدٍّ، يتعدَّى الإنسان إلى غيره، حيث يدعو غيره إلى الكفر، ويحمله عليه ويُزيّنه له. فالذنب هنا مضاعف، ذنب لكفره في ذاته، وذنب لصدّه غيره عن الإيمان. لذلك يقول تعالى في آية أخرى: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾ [العنكبوت: 13] .انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي (5004/1).

المطلب الثاني: تحذير الأُمة المسلمة من طاعة أهل الكتاب

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[آل عمران:100-101]

بعد أن ناقش القرآن الكريم شبهات أهل الكتاب، وفضح كذبهم وافتراءهم على الله تعالى، جاء هذا التحذير يبين أن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، وهذه قضية يجب أن ينتبه لها الذين آمنوا، لأن الذين يبغون الأمر عوجاً قد ضلوا وأضلوا، وهم يشهدون على هذا، ويعلمون أن الله غير غافل عما يعملون.(1)

ولذلك يحذرنا الله تعالى من طاعة أهل الكتاب، الذين كل رغبتهم أن يُخرجوا المؤمنين من دينهم إلى الكفر بالله تعالى، ولولا أن بعض المؤمنين يطيعون أهل الكتاب، فينصرفون عن دينهم، ويصبحون حرباً على بلادهم وإخوانهم في الدين؛ لما نهى الله ﷻ بقرآن يتلى إلى يوم القيامة عن ذلك، وتُسجل الآيات الكريمة هاتين الخطوتين المرتبطتين تماماً، وترتبهما ترتيباً مناسباً، فهم كفروا بآيات الله أولاً، ثم قاموا بالخطوة الثانية وهي الصد عن سبيل الله، وصرف المسلمين عنها، وهذه من ثمار الكفر والانحراف، وهذا ما يفصح عنه سبب النزول.

سبب نزول الآية:

أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تفانوا، وكانت بينهم حروب وآخرها يوم بُعاث التي انتهت قبل الهجرة بثلاث سنين، فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم وأصبحوا عدة للإسلام، فساء ذلك يهود يثرب فقام شاس بن قيس اليهودي، وهو شيخ قديم منهم، فجلس إلى الأوس والخزرج، أو أرسل إليهم من جلس إليهم يذكرهم حروب بُعاث، فكادوا أن يقتتلوا، ونادى كل فريق يا للأوس! ويا للخزرج! وأخذوا السلاح، فجاء النبي ﷺ فدخل بينهم وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ **قال الإمامُ الواحديُّ:** "اصطفوا للقتال فنزلت الآيةُ إلى قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفَّين فقرأهنّ ورفعَ صوتَه فلما سمعوا صوتَ رسولِ اللهﷺ أنصَتوا له وجعلوا يستمعون له، فلما فرَغ ألقَوا السلاح وعانق بعضُهم بعضاً وجعلوا يبكون".(2)

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(1107/1)، التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(490/1).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور(28/4) وأسباب النزول، الواحدي(63/1).

مناسبة الآية لما سبق:

أما اتصال الآية بما قبلها على هذا فظاهر جلي، فإنه بعد ما وبَّخ أهل الكتاب على كفرهم وصدهم عن سبيل الله وهو الإسلام، آثر إقامة الحجج عليهم وإزالة شبهاتهم، وناسب أن يخاطب المؤمنين مبيناً لهم أنكم إذا أصغيتم إلى ما يلقيه هؤلاء اليهود من مثيرات الفتن، واستجبتم لما يدعونكم إليه فكنتم طائعين لهم، فإنهم لا يقنعون منكم بالعود إلى ما كنتم عليه من العداوة والبغضاء، بل يتجاوزون إلى ما وراء ذلك، وهو أن يردوكم إلى الكفر(1)، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ [البقرة : 109]. وقوله تعالى في هذه السورة: ﴿ **وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ** ﴾ [آل عمران: 69].

دور الآيات القرآنية في تثبيت المؤمنين:

لقد كان استعلاء اليهود وتفاخرهم على الأوس والخزرج دافعاً للأوس والخزرج على الدخول في الإسلام، وهكذا يجعل الحق سبحانه وتعالى كفر الكافر مؤثراً في تثبيت إيمان المؤمن.(2)

ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم، فقال:﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾[آل عمران:101]، أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات البينات التي توجب القطع بموجبها، والجزم بمقتضاها، وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصاً والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه.(3)

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا(15/4).

(2) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(1110/1).

(3) انظر: تيسير الكريم المنان، السعدي(141/1).

قال قتادة[1]: "ذكر في الآية أمرين يمنعان عن الوقوع في الكفر: **أحدهما**: تلاوة كتاب الله، **والثاني**: كون الرسول فيهم، أما الرسول ﷺ فقد مضى إلى رحمة الله ﷻ وبقيت سُنته، وأما الكتاب فباقٍ على وجه الدهر".[2]

(1) **قتادة (61 - 118 هـ)**:

هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي . من أهل البصرة . ولد ضريرًا . أحد المفسرين والحفاظ للحديث . قال أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة . وكان مع عمله بالحديث رأسا في العربية ، ومفردات اللغة وأيام العرب ، والنسب . كان يرى القدر . وقد يدلس في الحديث . مات بواسط في الطاعون، انظر: الأعلام: الزركلي(6 /27)، تذكرة الحفاظ، الذهبي(1 / 115).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي(323/4).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (102– 112)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دعوة القرآن للمؤمنين بتقوى الله ﷻ

المطلب الثاني: الحفاظ على الشخصية الإسلامية والاعتصام بالقرآن

المطلب الثالث: فلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

المطلب الرابع: خيرية أُمة محمد ﷺ

المطلب الخامس: تثبيت المؤمنين وبيان أن ما حل باليهود من الذل والصغار بسبب بغيهم

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (102- 112)

قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ *وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ *وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ* لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ *ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران:102- 112].

بعد توبيخ الله ﷻ أهل الكتاب على كفرهم وصدهم عن سبيل الله، وأقام الحجج عليهم، وأزال شبهاتهم، أمرهم بالحرص أشدّ الحرص على تقوى اللّه كما يجب، وعلى البقاء على الإسلام والموت عليه، والتمسك بحبل اللّه المتين، متحدين يداً واحدةً، وقلباً واحداً وعدم التفرق، كما دعت الآيات المؤمنين إلى أن يذكروا نعمة الله عليهم، إذ كانوا قبل الإسلام، أو بغيره أعداء، فجمع بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخواناً في الدين والولاية والنصرة، وكانوا على حافة حفرة من النار، قبل الإيمان، ليس بينهم وبين الوقوع فيها إلا أن يموتوا كفاراً؛ فأنقذهم منها بالإيمان، وأنقذهم من حفرة النار التي كانوا على حافتها[1] **وفي هذه الآيات مجموعة من التوجيهات الإلهية للمؤمنين تتمثل في المطالب التالية:**

(1) انظر: التفسير الحديث، دروزة (199/7)، أغراض السور في التحرير والتنوير، محمد الحمد(ص: 17).

المطلب الأول: دعوة القرآن للمؤمنين بتقوى الله ﷻ

قالﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: 102] فالتقوى من أهم مقاصد الدعوة؛ إذ هي من أهم الصفات التي يحرص الإسلام على تحلي المسلمين بها، لما لها من الأثر العظيم في حياة المسلم في الدنيا، ولما يناله بسببها من كرامة في الآخرة، فكانت لذلك الوصية العظمى لكل الأُمم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ** ﴾[النساء:131]

شرع الله ﷻ في تحذير المخاطبين من عباده المؤمنين، أن احذروا ما حذركم الله في كتابه وتوقوا معصيته خشية من عقابه[1] وأمرهم بتحقيق التقوى حق تقاته، بأن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، وفي الآية نهيٌ للمؤمنين أن يموتوا على غير الإسلام، وأن يستمروا على الإيمان ويثبتوا على دين الله ومنهج الحق، ويستقيموا إلى الممات، فلا يبدلوا ولا يغيروا. وهذه الآية أصل عظيم من أصول الأخلاق الإسلامية، وحق التقوى هو أن لا يكون فيها تقصير، وذلك هو معنى قوله تعالى:﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾[التغابن:16] [2] قال الفضيل[3]: "محسنون الظن بالله وجاهدوا في الله حق جهاده ولا نسخ في الآية".[4]

---

(1) انظر: الثقات، ابن حبان(160/2) نيل الأوطار، الشوكاني(189/6).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري(64/7)، تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير (86/2)،التحرير والتنوير، ابن عاشور(30/4)

(3) **الفضيل بن عياض (105 – 187 هـ)**

هو الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي التميمي اليربوعي، فقيه، حنفي، شيخ الحرم المكي، من العباد الصلحاء، أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي(424/8)، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي(121/2)، وتهذيب التهذيب(394/8).

(4) وذكر المفسرون أنها لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من يقوى على هذا؟ وشق عليهم ذلك، فأنزل الله:﴿ **فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن: 16] فنسخت هذه الآية. قال مقاتل: وليس في آل عمران من المنسوخ شيء إلا هذا وقيل: إن قوله:﴿**اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ مبين بقوله :﴿ **فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ والمعنى: اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم. بيان لحق تقاته فإن القوم ظنوا أن ﴿**حق تقاته**﴾ ما لا يطاق فزال الإشكال قال: وهذا أصوب؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن، فهو أولى. انظر: معالم التنزيل، البغوي (77/2)، المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، عبد الرحمن بن الجوزي(23/1)، والمتفق والمفترق، البغدادي(82/1).

المطلب الثاني: الحفاظ على الشخصية الإسلامية والاعتصام بالقرآن.

قال تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[آل عمران:103].

تدعو الآيات الكريمة المؤمنين إلى مجموعة من المضامين التربوية، ويتضح ذلك فيما يلي:

1. **الاعتصام[1] بحبل الله المتين**، فليس أضر على المسلمين من النزاع والاختلاف، وليس أحب لأعداء الله من تمزيق وحدة المسلمين، وتشتيت شملهم[2].

فتمسكوا أيها المسلمون بدينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهده عليكم في كتابه، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله[3] والاعتصام بحبل الله "هو التمسك بعهده، واتباع كتابه العزيز وحدوده، والتأدب بأدبه"[4]. **قال ابن بطال[5]**: "لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو في سنة رسوله"[6].

والله ﷻ نص على تحريم التفرق في كتابه الكريم "ولا أفحش من ذلك في التفرق المنهي عنه لما فيه من أعظم التعادي والتنافر والتباين"،[7]"قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[الحشر: 7]. وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة[8]، كذلك يعمل القرآن في تكوين الشخصية المسلمة المتمسكة به في كل زمان وفي كل مكان، فيخاطبها في

---

(1) **العصم**: الإمساك، والاعتصام: الاستمساك. والعِصْمة في كلام العرب المَنْعُ، قال تعالى: ﴿**لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ [هود/43]، أي: لا شيء يعصم منه. انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: 204)، مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني (2/99)، لسان العرب، ابن منظور(403/12).

(2) انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني(148/1).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري(70/7).

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي(144/6).

(5) **ابن بطال (ت: 449 هـ)**

هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، فقيه مالكي، وبنو بطال في الأندلس يمانيون. ينقل عنه ابن حجر كثيرًا في (فتح الباري) انظر: الأعلام، الزركلي(285/4)، وشذرات الذهب، الحنبلي(283/3).

(6) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال(435/9).

(7) إيثار الحق، القاسمي(400/1).

(8) انظر: أصول الإيمان، نخبة من العلماء(381/1).

أصولها الوجدانية والفطرية وفي حقيقتها ومصيرها، وفي إطار ذلك يكشف القرآن حقيقة ومآل الكافرين ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ**﴾[آل عمران:196] لقد تحجرت قلوب الأعداء من يهود وغيرهم؛ بما نشأ في نفوسهم من الحرص على نشر كل انحراف عقدي وأخلاقي ﴿**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[آل عمران:69] .

وفي السنة المطهرة، ما يتمم لهذا المقصد العظيم سبل استمراره، والثبات فيه وعدم الفرقة والاختلاف في الدين، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(أن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه أمركم، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)**. [1]

2. النهي عن التفرق:

بعد أن أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله، وهو الاجتماع على دينه، أكد ذلك بالنهي عن الفرقة، فقال تعالى: ﴿**وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[2] فالقوة في الاعتصام والاجتماع، والضعف في الفرقة والانشقاق، وحبل الله هو القرآن الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصّلت:42] فالله ﷻ ينهي المؤمنون من أن يشابهوا اليهود والنصارى، ويتابعوهم في تفرقهم واختلافهم، وهذا النهي ليس نهياً عن المشابهة فقط، بل حقيقته نهيٌ عن التفرق والاختلاف في الدين،. عن عبدالله بن عباس ﷺ: قوله:﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ**﴾ ونحو هذا في القرآن: أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.[3]

لهذا جاءت الآيات والأحاديث تأمر بالأخوَّة وبالوحدة، وتنهى عن الفرقة، وعن التنازع، كما في قوله ﷻ: ﴿**واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا**﴾، وقوله تعالى ﴿**ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[4] لقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بدينه، وأن يكونوا كالجسد الواحد.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة،ح1715(1338/3).

(2) انظر: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله بن محمد الغنيمان(4/1).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري(93/7).

(4) انظر: برنامج:(الشريعة والحياة)، د. يوسف القرضاوي، على موقع القرضاوي، تاريخ الحلقة،2005/11/20. www.qaradawi.net/2010-02-23-09-38-15/4/776.html،

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ[1] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[2] فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعاً، ونهاهم عن التفرق والاختلاف؛ لأن التفرق يؤدي إلى الضعف والفشل.[3]

3. ذكر نعمة الله:[4]

بعد أن أمرهم الاعتصام وعدم الفرقة والاختلاف، ينادي المؤمنين بأن يذكروا ويتنبهوا بعقولهم وقلوبهم إلى نعمة الله عليهم بتأليف نفوسهم، ورأب صدوعهم، فقد كانوا في الجاهلية أعداءً متقاتلين متنازعين، فألفّ بين قلوبهم بأخوة الإسلام، فأصبحوا متحابين، متناصحين، متوادين، وكنتم على وشك الوقوع في النار، فمنّ الله عليكم، وأنقذكم من التردي فيها، بهدايتكم إلى الحق عن طريق رسوله ﷺ الذى أرسله ربه رحمة للعالمين.[5]

"وهنا ينادي الله الجماعة المسلمة ويوجهها إلى القاعدتين الأساسيتين اللتين تقوم عليهما حياتها ومنهجها، هاتان القاعدتان المتلازمتان هما: **الإيمان، والأخوة.** الإيمان بالله وتقواه ومراقبته في كل لحظة من لحظات الحياة، والأخوة في الله، تلك التي تجعل من الجماعة المسلمة بنية حية قوية صامدة، قادرة على أداء دورها العظيم في الحياة البشرية، وفي التاريخ الإنساني، دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[6].

المطلب الثالث: فلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

قال ﷻ:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

---

(1) **النُّعمان بن بشير (ت: 65هـ)**

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس، أبو عبد الله، الخزرجي، الأنصاري، من أجلاء الصحابة، من أهل المدينة. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة، روى عن النبي ﷺ انظر: الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر(92/3) ، أسد الغابة، ابن الأثير(65/3).

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ،ح 2585(1999/4).

(3) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية(329/1)، التفسير المنهجي، فضل عباس(108/2).

(4) **نعمت:** رسمت بالتاء المفتوحة في أحد عشر موضعا، انظر: الوجيز في علم التجويد، محمود البدوي، (13/1).

(5) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي(688/1).

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب(410/1).

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ*وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران:104- 109].

ومن الأمور التي تدل عليها الآيات ما يأتي:

1. الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف:

ولتكن منكم جماعة يدعون إلى الخير كل الخير وهو ما وافق الكتاب والسنة، وأصلح البلاد، وأسعد العباد، ويأمرون بالمعروف، كل المعروف، وهو ما أمر به الشرع أو أباحه، وينهون عن المنكر، كل المنكر، وهو ما نهى عنه الشرع، أو حرمه[1]، ففلاح هذه الأمة ونجاحها لا يكون متحققاً إلا بقيامها بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما أمرها ربها، فلا فلاح للأمة، ولا نجاح للبشرية، إلا أن يسود فيها الخير، ويوجد فيها من يدعو إليه، "ومن المعلوم أن إيجاب ما أوجبه الله، وتحريم ما حرمه الله تعالى، هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو نفسه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر".[2]

والأمر بالمعروف كما **قال الغزالي**[3]: "هو القطب الأعظم في الدين"[4] ومهمة الأنبياء جميعاً. وإن هذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد، ولا يصلح إلا بعمل وكفاح، ولا بد لهذا الدين من أهل يبذلون جهدهم؛ لرد الناس إليه، ولإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولتقرير ألوهية الله في الأرض، ولإقامة شريعة الله في حياة الناس.[5]

مما سبق يتبين لنا بأوضح بيان ما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عظيم الأمر، وأنه مقصد عظيم من مقاصد الدعوة، إذ هو حصن حصين من عذاب الله، ومن انتشار الفجور والفساد **﴿وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾**[البقرة:205].

---

(1) انظر: فيض القدير، المناوي، (665/5)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، نخبة من العلماء(3/ 525).

(2) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(7/14).

(3) **الغزالي (450 – 505 هـ)**

هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي نسبة إلى (غزاله) قرية من قرى طوس. فقيه شافعي أصولي، متكلم، متصوف. انظر: الاعلام، الزركلي(22/7) والوافي بالوفيات، الصفدي(120/1).

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي(306/2).

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(451/2).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان من فرائض الله ﷻ، وكان مما بايع النبي ﷺ أصحابه في أول الدعوة حين بايع أهل يثرب ليلة العقبة؛ بايعهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا المقصد العظيم سفينة النجاة للأمة.

2. **عدم التشبه بالكافرين:**

ولا تكونوا أيها المؤمنون، كالذين تفرقوا[1] عن دينهم، واختلفوا فيه، من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحات، الموجبة للاتفاق على كلمة الحق، وهؤلاء لهم عذاب عظيم، يكون ذلك:﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[آل عمران: 106] ويوم القيامة تبيض وجوه أهل الحق والإيمان، وتسود وجوه أهل الباطل والكفران، وللمؤمن نوره، ولو كان أسود اللون، وللكافر ظلمته، ولو كان أبيض اللون، حيث العبرة ببياض القلب أو سواده، فأما الذين اسودت وجوههم يوم القيامة، فيقال لهم توبيخاً وتبكيتاً، لِمَ كفرتم بمحمدﷺ حينما بُعث، وذلك بعد أن كنتم مؤمنين به قبل مبعثه، حسبما كنتم تعرفون من أوصافه وصدقه في كتبكم على كل حال، ذوقوا العذاب، واخلدوا فيه؛ بسبب كفركم هذا. ومما وقع في الأمة وقد أخبر به ﷺ متابعة اليهود والنصارى، والتشبه بهم، والأخذ عنهم، ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن؟)**.[2]

وأما الذين ابيضت وجوههم يوم القيامة فلا يقال لهم ما يعكر صفوهم، بل يقال لهم سلام عليكم طبتم، ثم يقول ﷻ لنبيه ﷺ:﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران:108].

هذه الآيات السابقة المشتملة على نعيم الأبرار، وتعذيب الكفار نتلوها عليك بما فيها من حق وعدل، إعلاماً لك وللمؤمنين بأمور الدنيا والآخرة "وقد أسند سبحانه التلاوة إلى نفسه (نتلوها) للتنبيه على شرف هذه الآيات وعظمها".[3] وما يريد الله أن يظلم العالمين، وما يفعل

---

(1) **قدّم التفرقة على الاختلاف؛** لأن الأولى سبب في الثانية التي جاءت مترتّبة عليها، فالاختلاف ناجم عن التفرقة وتابع لها، وهو ثمرة من ثمارها، **وجاء الفعل ﴿جَاءَهُمُ﴾ في صورة المذكّر؛** لأن كلمة البيّنات التي وردت في الآية تعني الكتاب – كذلك – تعني التوراة والإنجيل وكل منهما كتاب. انظر: سر الإعجاز، القيسي(ص:61).

(2) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، ح 6775 (298/22).

(3) التفسير المنهجي، فضل عباس(113/2).

ذلك بل العدل فعله، كما أن العدل اسمه، سبحانه وتعالى، ولِمَ لا يكون ذلك ﴿**وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ**[1] **الأُمُورُ**﴾[آل عمران: 109].

المطلب الرابع: خيرية أُمة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران:110]

وتعود الآيات لتثني على أُمة الإسلام بذلك الثناء العاطر، ويمدحها الله، ويخبر أنها خير الأُمم التي أخرجها للناس، ويتعطف سبحانه على عباده المؤمنين، فيثبتهم على الحق، والدعوة إلى الخير، وتؤكد الآيات على قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن فيه الخير العظيم لأُمة هذا الدين، وأمر سبحانه بتكميل الغير إثرَ أمرهم بتكميل النفس؛ ليكونوا هادين مهديين على ضد أعدائهم، ودعا المؤمنين إلى القيام بواجب التذكير والتبصير، فالأُمة الإسلامية مسئولة مسئولية كبيرة عن هذا الفساد الحادث اليوم في الأرض، وأي خير يبقى للأُمة إن تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي به يظهر الحق ويزهق الباطل، وأي خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق.[2]

إن هذه الأُمة لم يُخرجها الله ويجعلها خير أُمة في التاريخ؛ لتعيش في حدود نفسها فحسب، بل أخرجها[3] لتكون قائدة ورائدة لكل الناس؛ لتؤدي في حياة البشر دوراً خاصاً لا ينهض به سواها، فقد ائتمن الله تبارك وتعالى أُمة محمد ﷺ على المنهج، و لقد انبثق وجودها ابتداءً من منهج الله؛ لإقراره في الأرض، وتحقيقه في صورة عملية، ذات معالم منظورة "وما حازت هذه

---

(1) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وكذا يعقوب وخلف ﴿**تَرْجِعُ الأُمُورُ**﴾ بفتح التاء وكسر الجيم،(بالبناء للفاعل) وقرأ الباقون ﴿**تُرْجَعُ**﴾ بضم حرف المضارعة وفتح الجيم(بالبناء للمفعول). انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(208/2).

(2) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم(198/2).

(3) إن التعبير بكلمة ﴿ **أُخْرِجَتْ**﴾ المبني لغير الفاعل، تعبير يلفت النظر، وهو يكاد يشير باليد المدبرة اللطيفة، تخرج هذه الأُمة إخراجاً؛ وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب. إنها كلمة تصور حركة خفية المسرى، لطيفة الدبيب، حركة تخرج على مسرح الوجود أُمة ذات دور خاص. وكلمة ﴿**لِلنَّاسِ**﴾ هنا تفيد أن الله لم يجعل خيرية الأمة المحمدية، وهي أمة الإجابة للمؤمنين فقط، بل جعل خيريتها للناس جميعا؛ مؤمنهم وكافرهم. ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف:181]انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(3140/1)، في ظلال القرآن، سيد قطب(416/1).

الأمة قَصَبَ السَّبْق إلى الخيرات إلا بنبيها محمدﷺ"[1] وهيأها لأداء هذه الرسالة العظيمة. لأن الله ضمن بقاء الخير في هذه الأمة، لذلك "يُعرّف الله المسلمين حقيقة مكانهم في هذه الأرض، وحقيقة دورهم في حياة البشر، فيدلهم بهذا على أصالة دورهم في القيادة، قيادة التصور الصحيح، والاعتقاد الصحيح، والشعور الصحيح، والخُلق الصحيح، والنظام الصحيح، والتنظيم الصحيح."[2]

مخاطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زوال وصف الخيرية عن الأمة، لأنهم لم يستحقوا الثناء والمدح إلا لتحققهم بهذا الفعل، فإذا انتفى عنهم القيام بهذه الفريضة ينتفي عنهم الوصف بالخيرية، **قال الإمام القرطبي -رحمه الله-:** قوله تعالى: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ "مدحٌ لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم"[3] وقد نص عدد من **الفقهاء -رحمهم الله-** على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يُعد من كبائر الذنوب[4] وإذا تركت هذه الوظيفة فإن العاقبة سيئة؛ لأن تركها يكون سبباً لحلول البدع، وانتشار المنكرات، وحصول الفواحش والمحرمات، وكثرة المعاصي؛ فيكون ذلك سبباً للعقوبات التي تعم جميعهم.

ومن هذه المخاطر ما يلي:

أولاً: النفاق

قال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[التوبة:67].

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(94/2).

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب(399/1)

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(173/4).

(4) من أولئك الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه البحر المحيط(335/3)، والإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر(227/1) حيث يقول: الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الثوري[1]: "إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافقين"[2] ولذلك جعله الله تبارك وتعالى فرقاً بين المؤمنين والمنافقين.[3]

ثانياً: الهزيمة ونزول البلاء

يقول الله ﷻ: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ*وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[هود:116 -117] عن أبى بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله أن يعمهم بعقابه)**[4] ومن سنن الله تعالى أنه ينصر من ينصر دينه، وعلى العكس من ذلك فإن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب الهزيمة أمام الأعداء.

ثالثاً: اللعن والإبعاد من رحمة الله

جاء الذم البليغ والوعيد الشديد على ذلك، قال الله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة:78- 79][5] أي :"كان لا ينهى أحدٌ منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوه"[6] وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد ﷺعن النبي ﷺأنه قال : **(يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، أي: أمعاؤه فيدور في النار كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار،**

---

(1) **الثوري (97 - 161 هـ)**

هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. من بني ثور بن عبد مناة. أمير المؤمنين في الحديث. كان رأسا في التقوى، ومات بالبصرة. انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي(242/1).

(2) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر الخلال (78/1).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(47/4).

(4) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح4338(525/2)، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح4005(1327/2). قال الشيخ الألباني: صحيح في صحيح الجامع،(398/1).

(5) انظر: الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين، حمود بن عبد الله بن حمود التويجري(215/1).

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(307/2).

فيقولون: ما لك يا فلان ؟! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! قال: فيقول لهم: بلى ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه).(1)

رابعاً: عدم استجابة الدعاء(2)

من موانع الإجابة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال:(**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم**)(3)

قال المباركفوري: "والله إن أحد الأمرين واقع، إما الأمر والنهي منكم، وإما إنزال العذاب من ربكم، ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم؛ بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب، وإن لم يكونا كان عذاب عظيم".(4)

المطلب الخامس: تثبيت المؤمنين وبيان أن ما حل باليهود من الذل والصغار بسبب بغيهم

قال تعالى: ﴿ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ *ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[آل عمران:111-112]

لما مدح الله تعالى أُمة محمد ﷺ، ذم أهل الكتاب؛ لأنهم لم يؤمنوا، فهم بالتالي لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، بل يحاربون المعروف، ويشيعون المنكر؛ ولذا لا خيرية فيهم، ولا خير منهم "وهذه الآيات تثبيت للمؤمنين على ما هم عليه من الاعتصام باللّه والاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير، وهي أيضاً ترغيب لهم في المحافظة على اتباع الأوامر وترك النواهي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان باللّه، وأعقب ذلك بمقارنتهم بحال أهل الكتاب،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار،ح3094(1191/2)، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يعرفه، ح2989(2290/4).

(2) الشرح الميسر لكتاب التوحيد، عبد الملك القاسم(280/1).

(3) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف،ح2169(468/4)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ح 23301 (389/5)، قال الشيخ الألباني: حسن لغيره في صحيح الترغيب والترهيب(286/2)..

(4) تحفة الأحوذي، المباركفوري(326/6).

وبيان سبب إلحاق صفة الذل بهم والغضب عليهم"[1]. فلزمتهم وفُرضت عليهم الذلة، أينما وُجدوا، في كل دولة يعيشون في ظلها، وقد عاش اليهود زماناً طويلاً تحت ظل الذل في أكثر من بلد، وهم الآن يتحركون بالعقلية ذاتها، عقلية اليهودي المضطهد، فهي عقلية تبالغ في التخوف من كل شيء، مما قد يبدو للناس أنه مكرٌ ودهاء.

والواقعُ أن عقلية الشعور بالاضطهاد تجعل اليهود دائماً خائفين، حتى وهم متمكنون الآن، فشعور التوتر والقلق وعدم الاستقرار الأمني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي يطاردهم وخوفهم الدائم فيها؛ مما يضطرهم إلى فعل الذليل من الأعمال، والأحوال؛ نفاقاً واتقاء شر يلحق بهم "وقد كان هذا، كما أخبر به القرآن، فإنهم ما زالوا تحت الذلة والمسكنة في جميع أقطار الأرض، لم يجتمع لهم جيش ولا انتصروا في موطن من المواطن ولا ثبتت لهم دولة قط"[2] فهم أذلاء أينما وجدوا، ليس لهم ذاتية، ولا ترفع عنهم هذه المذلة التي ضربت[3]عليهم، إلا بواحد من أمرين: حبل من الله، كما حدث عندما عاهدهم رسول الله ﷺ في المدينة، وعاشوا في حمى العهد، أو عهد من أناس أقوياء يقدموا لهم الحماية. وهذا هو واقع اليهود اليوم، فإن كثيراً من أمم الكفر تمدهم وتعينهم، وتقف إلى جانبهم، وهذا ما يرفع عنهم قدراً كبيراً من الذل، أو يرفع عنهم الذل الظاهر.

وأما ذل القلوب والأفئدة، فهو مصاحب لهم لا يفارقهم، ﴿**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ**﴾[آل عمران:111] وقال تعالى: ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحشر:14]. وهذا الذل الذي في القلب، يظهر أثره على الوجوه، كما قال **الحسن البصري** –**رحمه الله**–[4]: في أهل المعصية "إنهم وإن هملجت بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال، فإن ذل المعصية في وجوهم، أبى إلا أن يذل من عصاه".[5]

(1) التفسير المنير، الزحيلي(40/4)
(2) إرشاد الثقات، الشوكاني(50/1).
(3) **ضرب** بمعنى ألزم ودمغ، وضرب الشيء أي التصق به التصاقاً شديداً. أي: التحفتهم الذلة التحاف الخيمة بمن ضربت عليه في عامة الأحوال إلاَّ في حال اعتصامهم بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس. انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني(8/2).
(4) **الحسن البصري (21 – 110 هـ)**
هو الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان أبوه يسار من سبي ميسان، ولد بالمدينة و رأى بعض الصحابة ، وسمع من قليل منهم، كان، ناسكا، فصيحا، عالما. انظر: الأعلام، الزركلي(226/2).
(5) انظر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر(172/1)، حجاب المرأة ولباسها في الصلاة، تقي الدين الحنبلي(48/1).

فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستذلون، وقد ﴿**بَاءُوا**﴾ مع ذلك ﴿**بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ وهذا أعظم العقوبات، والسبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال ذكره الله بقوله:﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ التي أنزلها الله على رسوله محمدﷺ الموجبة لليقين والإيمان، فكفروا بها بغياً وعناداً ﴿**وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ أي: يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأشر مقابلة، وهو القتل" واليهود فيهم الكبر، والحسد ورد الحق والمستكبر معاقب بالذل[1] وذلك كله بسبب عصيانهم واعتدائهم، وسوء أفعالهم، فهو الذي جرأهم على الكفر بالله وقتل أنبياء الله. [2]

---

(1) انظر: الإمامة في ضوء الكتاب والسنة، ابن تيمية(141/1)،المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي(451/1).
(2) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي(31/1)، وأيسر التفاسير، أسعد حومد(405/1)، وجامع لطائف التفسير، القماش(321/1).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران

من الآية(113–132)

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (113– 117)

- **المبحث الثاني:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (118–120)

- **المبحث الثالث:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (121– 132)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (113– 117)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: عدالة الإسلام مع أهل الكتاب**
- **المطلب الثاني: مصير أعمال الكافرين يوم القيامة**
- **المطلب الثالث: ضرب الأمثال لبيان حال الكافرين**

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (113- 117)

قال ﷻ: ﴿**لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ *وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:113- 117].

هذه الآيات استمرار في بيان أوصاف أهل الكتاب، ففي الآيات السابقة **صنفهم القرآن صنفين:** منهم الفاسقون وهم الأكثرون، الخارجون عن طاعة الله، المعادون لأولياء الله، بأنواع العداوة ثم بين حالهم، ومصيرهم، ومنهم المؤمنون وهم الأقلون، وبيّن حالهم وإن كانوا قلة دخلوا في الإسلام.[1]

ويتجلّى في هذه الآيات الإنصاف القرآني في تسجيل حسنات المحسنين، والتنويه بهم، على أن من الواجب أن نُسجل أن هذه التقريرات القرآنية لم تتناول إلّا قلّة منهم، في حين كانت أكثريتهم العظمى وعلى رأسهم أكثر أحبارهم، وربانييهم منحرفين عن الحق، موغلين في الكيد والتآمر، حتى لقد وصل الأمر ببعضهم إلى إظهار إيمانهم بالجبت والطاغوت، نفاقاً لزعماء مشركي مكة وقولهم لهم إنهم أهدى من النبي ﷺ وأصحابه على ما حكته آيات سورة النساء[2] ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا *أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً**﴾ [النساء:51-52].

فاليهود كفروا عناداً؛ لأنهم يعلمون الحق، ولا يتبعونه عملا، والنصارى كفرهم من جهة عملهم بلا علم، بل أحدثوا في دين الله ما ليس منه فغلب عليهم أنهم عبدوا الله بغير علم مبتدعين، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

---

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي(48/4)، تفسير المنار، محمد رضا(58/4).

(2) انظر: التفسير الحديث، دروزة(525/2).

ولهذا قال سفيان بن عيينة[1] وغيره: "من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا، ففيه شبه من النصارى".[2]

المطلب الأول: عدالة الإسلام مع أهل الكتاب

قال ﷻ: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: 113-115]

الإسلام دين يحث على العدل، والإنصاف، وعدم غَمْط الناس، كذلك صنع المنهاج القرآني مع اليهود، فمع حديثه عن عداوتهم الأشد للمؤمنين، نجد القرآن يبلغ قمة العدل في التعامل معهم، "فعندما ذم الله تعالى أهل الكتاب الذين خالفوا أمره، فضربت عليهم الذلة، والمسكنة، وبَآؤُوا بغضب من الله، بسبب ما اقترفوه من الآثام والمعاصي، وقتل الأنبياء بغير حق، وصدِّهم عن سبيل الله"[3]، بأساليبهم الماكرة، وصفاتهم الخبيثة، بين سبحانه أنهم ليسوا جميعاً سواء[4]، بل استثنى منهم طائفة جنحت للحق، فآمنت، واتخذت منهج المسلمين منهجاً في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسعي في الخيرات، ووصفهم بأنهم من الصالحين بل أنصفهم غاية الإنصاف[5]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً**﴾ [آل عمران: 75]

ويأمر الله بمحاورة أهل الكتاب بلغة الإنصاف والعدل: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً**﴾ [آل عمران: 64].

(1) **ابن عيينة (ت 198هـ)**

هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد، الهلالي، الكوفي. سكن مكة، أحد الثقات الأعلام، أجمعت الأُمة على الاحتجاج به، وكان قوي الحفظ، وقال الشافعي: ما رأيت أحداً من الناس فيه جزالة العلم ما في ابن عيينة. انظر: شذرات الذهب، الحنبلي (354/1).

(2) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير(133/11)، صفوة التفاسير، الصابوني(357/1).

(3) إرشاد العقل السليم، أبو السعود(538/1).

(4) قوله تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً**﴾ تفرقة بين هاتين الفرقتين من أهل الكتاب اليهود والنصارى، وأنهم ليسوا سواء على وضع واحد في موقفهم من الإسلام والمسلمين. انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (561/1).

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب(400/1).

والإسلام ينطلق في الحوار من التكافؤ بين البشر لا تفاضل لعرق أو لَوْن، كما حكى الله عن اليهود قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[سورة المائدة: 18] "وهم يرون أنهم شعب الله المختار، يترفعون عن بقية الأجناس، وينظرون إليهم على أنهم دونهم، وأقل منهم"(1)، وكما يدعى العنصريون البيض في أُوروبا، أو طبقية كما هي عند الهندوس، وإنما بصلاحهم، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

إن حفاوة القرآن بأهل الكتاب على هذا النحو، شهادة بصدق نسبة القرآن إلى الله تعالى، وبأن الإسلام هو دين الله المهيمن، وكلمته التي لا يُعْبد الله بحقّ بغيرها.(2)

وتذكر الآيات أن أهل الكتاب ليسوا بدرجة واحدة، فمنهم المجرم الذي يحسد المؤمنين ويتمني لهم الضلال، وإن منهم الخونة، وإن منهم من يشتري بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، وإن منهم فريقاً يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه ويُبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد منه، ليوهموا الجهلة أنه من كتاب الله، ثم في الوقت نفسه يذكر ويبين أن بعضهم له صفات جيدة(3) مثل التزام العهد وأداء الأمانة، وترك الخيانة وحب الصدق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(4)

وهذه الآيات الكريمة نزلت كما يقول المفسرون فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كما ذكر الواحدي: قال ابن عباس ومقاتل: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة وأسعد بن عبيد ومن أسلم من اليهود قالت أحبار اليهود: ما آمن لمحمد إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا، لما تركوا دين آبائهم، وقالوا لهم: لقد خُنتم واستبدلتم بدينكم ديناً غيره(5)، فأنزل الله هذه الآية ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:114].

غير أن **الألوسي** يلفتنا إلى سر التعبير بـ﴿ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هنا مع أنه لم يذكره في آية الخيرية بقوله: "وخص الله تعالى اليوم الآخر بالذكر، إظهاراً لمخالفتهم لسائر اليهود، فيما عسى

(1) دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة، علي الصلابي(76/5).

(2) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، معوض إبراهيم معوض (4/14)
http://www.iu.edu.sa/Magazine

(3) **قدم الله ﷻ إيمانهم بالقرآن على إيمانهم بما أنزل عليهم،** لأن القرآن هو المهيمن على الكتب السماوية، والأمين عليها، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل. انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي (834/1).

(4) انظر: القواعد العلمية، محمد الحيالي(25/1)، وقبس من نور القرآن، الصابوني(152/1).

(5) انظر: أسباب النزول، الواحدي(ص:87). زاد المسير، ابن الجوزي(442/1).

أن يتوهم متوهم مشاركتهم لهم فيه، لأنهم يدّعون أيضاً الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، لكن لما كان ذلك مع قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ﴾ [التوبة:30] وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف ما نطقت به الشريعة المصطفوية جعل هو والعدم سواء".[1]

قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ[2] مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:115]

إنه سبحانه يعطيهم الجزاء العادل، وإن شيئاً لا يضيع عنده وهو الحق؛ فالخير الذي يفعلونه لن يكفروه[3] أو يجحد لهم أو يستر عن الناس؛ لأنه سبحانه عليم بالمتقين، فمن الجائز أن يصنع إنسان الأعمال ولا يراها أحد، أما الحق فهو يرى كل عمل، وهو الذي يملك حسن الجزاء.[4]

المطلب الثاني: مصير أعمال الكافرين يوم القيامة

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [آل عمران: 116]

بعد أن حذر الله تعالى المسلمين من أخطاء أهل الكتاب، انتقل إلى التحذير من أعدائهم من الداخل وهم المنافقون، وبين ﷻ أن الذين كفروا لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، أي: لا تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، ولا تجدي عليهم شيئاً من ثواب الله، وهذا وعيدٌ من الله ﷻ للأُمة الأُخرى الفاسقة من أهل الكتاب، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون وأنهم قد باءوا بغضب منه ولمن كان من نظرائهم، من أهل الكفر بالله ورسوله، وما جاء به محمد ﷺ من عند الله، فهم أصحاب النار المقضي عليهم بالخلود فيها.[5]

---

(1) روح المعاني، الألوسي(250/2).

(2) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ﴾} بالياء(بالغيب فيهما) إخبار عن الأمة القائمة وقرأ الباقون بالتاء(تفعلوا – تكفروه) بالخطاب فيهما لقوله:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ . انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(421/2).

(3) **سمي ذلك كفراناً**، كما سمي توفية الثواب شكراً، وتعديته إلى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان. انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي(381/1)، معالم التنزيل، البغوي (94/2).

(4) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(/1140).

(5) انظر: جامع البيان، الطبري(57/4)، التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(500/1)، التفسير الحديث، دروزة(217/7).

ولهذا قال ﷻ:﴿ **وَأُولَئِكَ** [1]**أَصْحَابُ النَّارِ**[2]**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ "أي وأولئِكَ المنحطونَ السّافلون البعداء جدّاً عن رحمة اللهِ أصحاب النار هم فيها خالدون.

ولما كان المال في باب المدافعة والتقرب والفتنة أبلغ من الأولاد، قدم في هذه الآية؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد، وخص الأولاد لأنهم أقرب أنسابهم إليهم، ولأن المغرور إنما يصده عن اتباع الحق أو النظر في دليله الاستغناء بما هو فيه من النعم وأعظمها الأموال والأولاد، فالذي يرى نفسه مستغنياً بمثل ذلك قلما يوجه نظره إلى طلب الحق أو يصغي إلى الداعي إليه، أي ومن لم يوجه نظره إلى الحق لا يُبصره، ومن لم يُبصره؛ تخبط في دياجير الضلال عمره حتى يتردى فيهلك الهلاك الأبدي، ولا ينفعه في الآخرة ماله فيفتدي به أو ينتفع بما كان أنفقه منه[3] كما في قوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[التغابن:15]. وفي قوله:﴿ **وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾[الحديد:20] وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾[سبأ:37]. بل تكون أموالهم[4] وأولادهم زاداً لهم إلى النار، وحجةً عليهم.

إن الفتنة بالمال أخذت صوراً شتى في كل العصور، وبرزت في عصرنا هذا، فوجب التنبيه ولفت الأنظار لها، فرُبَّ غافلٍ يظن أنه على طريق صحيح، وهو في طريق هلكة الاشتغال بالمال- ولو كان حلالاً- عن طاعة الله، وعن ذكره، لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة ويُنسي الآخرة.[5]

---

(1) **من دواعي اختيار اسم الاشارة:** إرادة إهانة المتَحَدَّث عنه، والتعبير عن انحطاط منزلته، وبعدها كثيراً إلى جهة الأسفل، باستعمال اسم الإشارة الذي يشار به إلى البعيد. انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني(424/1).

(2) وجملة ﴿**وأولئك أصحاب النار**﴾ عطف على جملة لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم، وجيء بالجملة معطوفة، على خلاف الغالب في أمثالها أن يكون بدون عطف، لقصد أن تكون الجملة منصبا عليها التأكيد بحرف (إن) فيكمل لها من أدلة تحقيق مضمونها خمسة أدلة هي: التأكيد بإن، وموقع اسم الإشارة، والإخبار عنهم بأنهم أصحاب النار، وضمير الفصل، ووصف خالدون. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(60/4).

(3) انظر: البحر المحيط، أبو حيان(152/2)، معالم التنزيل، البغوي(94/2)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (177/4)، تفسير المنار، محمد رضا(62/4).

(4) قال مقاتل بن سليمان وهي نفقة سلفة اليهود على علمائهم ورؤسائهم كعب بن الأشرف وأصحابه. انظر: العجاب في بيان الأسباب، شهاب الدين بن علي(730/2).

(5) فيض القدير، المناوي(643/2).

كما قال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:9]، ويقول سبحانه:﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح:11] **ومن هذه الصور:**

- **كراهية الإنفاق في سبيل الله:** وعلى رأسها الزكاة الواجبة، فبعض الناس ينفق الأموال الطائلة في أمور اللهو والترف، وحينما يُدعى للإنفاق في سبيل الله، يعرض و ينسى قول الله ﷻ في حق المنافقين:﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة:81]
- **عدم التحري في المعاملات المالية:** وعدم السؤال عن ما يدخل إليه، أمن حرام أمن حلال، والتساهل في ذلك. قال ﷺ **(لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وفيم أنفقه).**(1)
- **أكل أموال الناس بالباطل:** عن طريق المكاسب المحرمة، كالربا والسرقة، والغصب، والغش والتدليس والرشوة وغيرها والتحايل على أكلها بشتى الوسائل والحيل الملتوية، كما قال جل وعلا: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:188]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء:29].
- **أكل مال اليتيم:** يقول ﷻ:﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ [النساء:2] ويقول سبحانه مهدداً ومتوعداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[النساء:10].

المطلب الثالث: ضرب الأمثال لبيان حال الكافرين

قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[آل عمران: 117]

لما بيّن تعالى أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئاً، ثم إنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات، فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك، فأزال الله تعالى بهذه الآية تلك الشبهة،

(1) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، ح2417(612/4)، وسنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب من كره الشهرة، ح537(144/1)، قال الشيخ الألباني: حسن في صحيح الجامع(1221/2).

وبيّن أنهم لا ينتفعون بتلك الإنفاقات، وإن كانوا قد قصدوا بها وجه الله.[1]

فقد ضرب الله ﷻ مثلاً لما ينفقه الكفار من أموالهم، في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر[2]، والتي يصدون بها عن سبيل الله، ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريحٌ فيها صرٌ، أي: بردٌ شديدٌ محرقٌ، فأهلكت زرعه، ولم يحصل له إلا التعب والعناء وزيادة الأسف.

قال **ابن عطية**[3]: "معناه المثال القائم في النفس من إنفاقهم الذي يعدونه قربة وحسبة وتحنثاً، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباءً منثوراً، وذهابه كالمثال القائم في النفس، مَنْ زرع قوم نبت واخضرَّ وقوي الأمل فيه فهبت عليه ريح صرّ[4] محرق فأهلكته"[5]، فكذلك هؤلاء الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال:36].

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(356/4).

(2) انظر: أعلام الموقعين، ابن القيم(186/1)، الأمثال في القرآن الكريم، أبو بكر الزرعي(53/1).

(3) **ابن عطية (481 وقيل:480- 542هـ وقيل غير ذلك)**

هو عبد الحق بن غالب بن عطية، أبو محمد المحاربي، من أهل غرناطة. كان فقيهًا جليلاً، عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير، نحويًا لغويًا أديبًا، من تصانيفه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. انظر: بغية الوعاة، السيوطي(73/2)، طبقات المفسرين، الأدنروي(751/1)، تاريخ قضاة الاندلس، أبو الحسن النباهي(61/1).

(4) **الإصرار**: التعقد في الذنب والتشدد فيه، وأصله من الصر أي: الشد. والصرة: ما تعقد فيه الدراهم، قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا**﴾ [الجاثية:8]، ﴿ **وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** ﴾ [نوح:7]، ﴿**وكانوا يصرون على الحنث العظيم}**﴾ [الواقعة :46]، (قال في الصحاح: وأصري وصرى وأصرى وصري وصرى أي: جد وعزيمة، وقوله: ﴿ **رِيحًا صَرْصَرًا**﴾ [فصلت:16]، والصرة: الجماعة المنضم بعضهم إلى بعض كأنهم صروا، أي: جمعوا في وعاء، قال تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ** ﴾ [الذاريات:29]. انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني(577/1)، مختار الصحاح، الرازي(375/1).

(5) البحر المحيط، أبو حيان(363/3).

ثم ختم ﷻ الآية بقوله:﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ الله ولكن أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ أي أن الله ﷻ ما ظلمهم حين لم يَقبل نفقاتهم وأبطل أعمالهم، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بإيثارهم الكفر على الإيمان، واختاروا لأنفسهم الشرود والضلال والانفلات من عصمة الحبل الممدود، فإذا ذهب عملهم كله هباء – حتى ما ينفقونه فيما ظاهره الخير – وإذا أصاب حرثهم كله الدمار، فلم يُغن عنهم مالٌ ولا ولدٌ، فما في هذا ظُلم من الله ﷻ لهم، ومن كان كذلك فلن يقبل الله منه شيئاً؛ لأن الله تعالى، إنما يتقبل من المتقين.[1]

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(421/1)، التفسير الوسيط، طنطاوي(715/1).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (118– 120)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: تحذير الأُمة من موالاة الأعداء**
- **المطلب الثاني: تثبيت المؤمنين**

المبحث الثاني
المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (118- 120)

قال ﷻ:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ *هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ*إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران: 118-120]

إن التودد لأعداء الله والسعي في التقرب إليهم لا يجلب محبتهم، ومن ينتظر منهم الرضى أو ينشده؛ كمن يؤمل من السراب الخادع ماءًا، والثقة بودهم وَهْمٌ كبير، وغفلة عن وقائع التاريخ المتكررة في كل زمان ومكان.

ولذلك جاءت النصوص الكثيرة تأمر بمقاطعتهم وعداوتهم مهما تظاهروا بالمحبة الكاذبة، التي طالما اصطادوا الناس بشباكها، وفي الوقت نفسه دعت إلى توثيق الصلات بين المسلمين، وإشاعة المحبة والمودة في مجتمعهم، ونبذ أشكال الاختلاف والفرقة، بل اعتبرت المحبة جزءاً أساسياً من الإيمان.

إن الآيات السابقة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب، وإن هذه الآيات وما بعدها في بيان أحوال المؤمنين، ومعاملة بعضهم لبعض وإرشادهم في أمرهم [(1)]، كما سنرى من خلال المطلب الآتي.

المطلب الأول: تحذير الأُمة من موالاة الأعداء

قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ *هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[آل عمران: 118-119]

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا(66/4)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي(144/1).

نهى الله ﷻ المؤمنين أن يتخذوا من الكفار أخلاء وأصفياء بطانة[1] يظهرونهم على سرائرهم، لأن هؤلاء لا يألون جهدًا، ولا يتأخرون عن عمل فيه إيذاء وإضرار بالمؤمنين، في دينهم ودنياهم، وهم يتمنون وقوع المؤمنين في الضيق والمشقة.

ولقد بدت البغضاء والعداوة في أفواههم بما يظهر على ألسنتهم من كلمات الحقد، وصدورهم تخفي حقداً أكبر، وبغضًا أعظم للإسلام وأهله، وهو أمرٌ لا يخفى على عاقل، وقد بين الله تعالى الدلالات الواضحة التي يعرف بها الولي من العدوِ.[2]

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يحبونه من مضرة المسلمين.

وقد احتوت الآيات صورة قوية لشدة ما كان يضمره اليهود من العداء والحقد والغيظ للنبي ﷺ والمسلمين والدعوة الإسلامية، ونهياً قوياً متناسباً مع ذلك ومستنداً إلى الواقع المشاهد الملموس عن الاستمرار في مودتهم، وموالاتهم من قبل المسلمين واختلاطهم بهم، وهذه الصورة مؤيدة بقوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ [المائدة:82].

يقول الشعراوي: "ويتساءل الإنسان كيف ينادي الله مؤمناً به، ثم يأمره بالإيمان؟ وهنا نرى أن المطلوب من كل مؤمنٍ أن يؤدي أفعال الإيمان دائماً، ويضيف لها ليستمر ركب الإيمان قوياً، فالحقُ حين يطلب من المؤمن أمراً موجوداً فيه؛ فلنعلم أن الله يريد من المؤمن الاستدامة على هذا اللون من السلوك الذي يحبه الله، وكأن الحق حين يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾ إنما يحمل هذا القول الكريم أمراً بالاستدامة على الإيمان".[3]

لقد جاء هذا التنوير، وهذا التحذير؛ يُبَصر الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر، ويوعيها لكيد أعدائها، الذين لا يخلصون لها أبداً، ولم يجيء هذا التنوير وهذا التحذير ليكون مقصوراً على فترةٍ تاريخيةٍ معينةٍ، فهو حقيقةٌ دائمةٌ، تواجه واقعاً دائماً كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينا من حاضر مكشوف مشهود.[4]

وقوله ﷻ: ﴿**وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ**﴾ أكثر مما ظهر منها، أي: أظهروا للمؤمنين البغض.[5]

---

(1) بِطانةُ الرجل وَليجتُه وأَبْطَنَه اتَّخَذَه بِطانةً، وفلان بِطانتي دون إخواني، أي الذي أبطنتُه أمري. انظر: لسان العرب، ابن منظور(52/13)، جمهرة اللغة، ابن دريد(167/1).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري(138/7)، أيسر التفاسير، أسعد حومد(411/1).

(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي(1148/1).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(423/1).

(5) انظر: البحر المحيط، أبو حيان(366/3).

وقوله **تعالى**: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيات**﴾ أي أظهرنا لكم الآيات الدالة على النهي عن موالاة أعداء الله ﷻ وعن مصافات المنافقين، أو قد أظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي يتميز بها الولي من العدو ﴿**إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ أي إن كنتم من أهل العقل، أو إن كنتم تعلمون الفضل بين الولي والعدو، أو إن كنتم تعلمون مواعظ الله تعالى ومنافعها.[1]

ثم أكد القرآن تحذيره السابق من اتخاذ الأعداء بطانة وموضع سر وثقة، لأسباب أخرى، كل منها يستدعي الامتناع عن المودة والمخالطة حال انعدام الثقة، وهي في قوله ﷻ: ﴿**تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ**﴾ **وذكر المفسرون عند تفسير هذه الآية عدة وجوه:**

أحدها: قال المفضل[2]: ﴿**تُحِبُّونَهُم**﴾ "تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ﴿**وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ**﴾؛ لأنهم يريدون بقاءكم على الكفر، ولا شك أنه يوجب الهلاك".[3] إنكم تحبون أولئك الكفار، وهم لا يحبونكم وإنما يعادونكم، والواجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها، ويُعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص، ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم عليه السلام والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم حيث يقول ﷻ: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [سورة الممتحنة: 4] **وقال تعالى:** ﴿**لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾.[المجادلة: 12]

قال **ابن تيميَّة**: "ونظائر هذا في غير موضعٍ من القرآن، يأمُر الله ﷻ بمُوالاة المؤمنين حقاً، الذين هم حِزْب الله وجُنده، ويُخبر أنَّ هؤلاء لا يُوالون الكفَّار، ولا يوادونهم".[4]

---

(1) انظر: روح المعاني، الألوسي(187/3)، مدارك التنزيل ، النسفي(178/1).

(2) **أبو الحسن (544 – 611 هـ)**

علي بن المفضل بن علي بن مفرج بن حاتم، أبو الحسن، شرف الدين المقدسي الإسكندراني، محدث فقيه مالكي، من الحفاظ. انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي(123/4)، الأعلام، الزركلي(23/5).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي(362/4).

(4) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية(ص:48).

يقول **ابن رجب**[1]: "فأولياءُ الله تجب مُوالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أنَّ أعداءه تجب مُعاداتهم، وتحرم موالاتهم"[2]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[الممتحنة:1]، وقال ﷻ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[المائدة:55]

الوجه الثاني: ﴿**تُحِبُّونَهُمْ**﴾ "بسبب ما بينكم وبينهم من الرضاعة والمصاهرة ﴿**وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ**﴾ بسبب كونكم مسلمين.

وإنكم تؤمنون بالكتب السماوية كلها ومنها كتابهم، وتصدقون بكل الرسل والأنبياء، ومنهم رسولهم ونبيهم، وهم يجحدون بكتابكم ونبيكم ﷺ.

الوجه الثالث: ﴿**تُحِبُّونَهُمْ**﴾ بسبب أنهم أظهروا لكم الإيمان ﴿**وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ**﴾ بسبب أن الكفر مستقر في باطنهم"[3] فإذا لقوا المؤمنين لاطفوهم حذراً على أنفسهم، وقالوا آمنا وصدقنا بما جاء به محمد ﷺ وإذا خلوا مع أنفسهم وشياطينهم، أظهروا شدة الغيظ والحقد والعداوة لكم، وتألموا وندموا وعضوا الأنامل على أنهم لا يستطيعون إلحاق الأذى بكم، فأنتم مخطئون في موالاة المنافقين والكفار، وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم.[4]

---

(1) ابن رجب (736 - 895 هـ)

هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، أبو الفرج، زين الدين، ولد ببغداد، وتوفي بدمشق من علماء الحنابلة؛ كان محدثاً حافظاً فقيهاً أصولياً ومؤرخاً، أتقن فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل، من تصانيفه (تقرير القواعد وتحرير الفوائد) المشهور بقواعد ابن رجب في الفقه، انظر: الدرر الكامنة، شهاب الدين العسقلاني(221/2)، شذرات الذهب، الحنبلي(202/6).

(2) جامع العلوم والحكم، البغدادي(360/1).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي(362/4).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي(57/4).

الوجه الرابع: قال أبو بكر الأصم[1]: ﴿**تُحِبُّونَهُمْ**﴾ "بمعنى أنكم لا تريدون إلقاءهم في الآفات والمحن ﴿ **وَلاَ يُحِبُّونَكُم**﴾ بمعنى أنهم يريدون إلقاءكم في الآفات والمحن ويتربصون بكم الدوائر ".[2]

وقوله تعالى: ﴿**عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ**﴾ دعاءٌ عليهم بأن يزداد غيظهم؛ حتى يهلكوا به، والمراد بزيادة الغيظ، زيادة ما يغيظهم من قوّة الإسلام، وعز أهله، وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار.

قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور**﴾ أي: هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم، وتُكنُّه سَرَائرُكُم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تؤمّلون، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها، فلا خروج لكم منها.[3]

وعموم التشبه بالكفار محرم، سواء كان التشبه في عباداتهم أو في عاداتهم وسلوكياتهم، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

1- من القرآن قول الله ﷻ: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران:105].

2- من السنة قول النبي ﷺ: (**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**)[4]

قال **ابن تيمية:** "هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم"[5] كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة:51].

3- وأما الإجماع فقد نقل ابن تيمية أنه منعقد على حرمة التشبه بالكفار.[6]

---

(1) **أبو بكر الأصم (ت: 201هـ)**

هو عبد الرحمن بن كيسان، الأصم، من شيوخ المعتزلة، إلاَّ أنهم أخرجوه من جملة المخلصين من أصحابهم، بسبب ميله عن علي ﷺ قال في طبقات المعتزلة: كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، من تصانيفه: تفسير القرآن، وخلق القرآن، والحجة والرسل. انظر: الفهرست، ابن النديم(214/1)، سير أعلام النبلاء، الذهبي(402/9).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي(362/4).

(3)انظر: الكشاف، الزمخشري(315/1)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(108/2).

(4) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ح5401، (314/4)، قال الشيخ الألباني: صحيح انظر: إرواء الغليل(109/5).

(5) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية(270/1).

(6) المرجع السابق (270/1).

مظاهر موالاة الكفار[1]:

ومن تلك المظاهر المذمومة التي يجب تجنبها ما يلي:

1. **التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما**؛ لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما، يدل على محبة المتشبه به، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ: **(رأى علي ثوبين معصفرين فقال لي: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها قلت أغسلهما قال؟ لا بل أحرقها)**.[2]
2. **الاستعانة بهم، والثقة بهم،** وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمرآن:118]
3. **إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين،** ومدحهم والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة.[3]
4. **مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها،** أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها، وأن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم، بما هم عليه من الباطل، وقد ذكر ابن كثير في تفسير قوله ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾[الفرقان:72] أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.[4]
5. **مدحهم والإشادة، بما هم عليه من المدنية والحضارة،** والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، قال تعالى : ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه:131].
6. **التسمي بأسمائهم** بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم. و من حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ)**[5]

---

(1) انظر: الولاء البراء، القحطاني(12/1)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان(308/1)، المولاة والمعاداة، الجعلود(589/2)، تسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين(564/1).

(2) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، ح3873(430/10).

(3) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان(289/1).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(130/6).

(5)صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ح2132(1682/2).

7. **الاستغفار لهم والترحم عليهم،** اتفق الفقهاء على أَنَّ الاستغفار للكافر مَحْظُور[1]، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة:113].

المطلب الثاني: تثبيت المؤمنين

قال تعالى:﴿**إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران: 120].

تضمنت الآية بيان صفة نفسيّة للكافرين المنهى عن اتخاذهم بطانة، وهو استياؤهم وتألمهم لما يرونه من حسن حال المسلمين، كإتلافهم واجتماع كلمتهم ونصرهم وعزتهم وقوتهم وسعة رزقهم، كما هو أيضاً فرحهم وسرورهم بما قد يشاهدونه من خلاف بين المسلمين أو وقوع هزيمة لجيش من جيوشهم.

ولما وصف ﷻ هؤلاء الكفرة بصفاتهم، قال لعباده المؤمنين مبعداً الخوف عنهم، وإن تصبروا على ما يصيبكم وتتقوا الله تعالى في أمره ونهيه لا يضركم كيدهم شيئاً، لأن الله تعالى وليّكم مطلع على تحركاتهم وسائر تصرفاتهم وَسَيُحْبِطُها كلها.[2]

أرشد الله المؤمنين إلى كيفية تلقّي أذى العدوّ، بأن يتلقّوه بالصّبر والحذر، وعبّر عن الحذر بالاتّقاء، أي اتّقاء كيدهم وخداعهم، وتأمّل قول اللّه تعالى: ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ**﴾ فمعنى ذلك: إن حصل لكم مجرد (مَسّ)، أي قليل من الخير والنّفع، **{تَسُؤْهُمْ}** أي تحزنهم وتغيظهم، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ مِحنة ﴿**يَفْرَحُوا**﴾ أي يبتهجوا بِهَا، وفي ذلك إشارة إلى تناهي عداوتهم إلى حد الحسد والشّماتة.

والمقصود بالحسنة هنا منفعة الدُّنيا، على اختلاف أحوالها، فمنها صحّة البدن، وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والاستيلاء على الأعداء، وحصول المحبَّة والأُلفة بين الأحباب، والمراد بالسيِّئة أضدادها، وهي المرض والفقر والهزيمة والانهزام من العدو وحصول التفرّق بين الأقارب، والقتل والنّهب والغارة، فبيّن تعالى أنّهم يحزنون ويَغْتَمُّون بحصول نوع من أنواع الحسنة للمسلمين، ويفرحون بحصول نوع من أنواع السيّئة لهم.[3]

---

(1) انظر: رد المحتار، ابن عابدين(351/1)،الأصول، السرخسي(135/2)، الفروق، القرافي(260/4).

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري(197/1).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(364/4).

وقولهﻷ: ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾(1) أي لا يضركم كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم، بذلك ينتفي الضرّ كلّه لأنّه أثبت في أوّل الآيات أنّهم لا يضرّون المؤمنين إلاّ أذى، فالأذى ضرّ خفيف، فلمَّا انتفى الضرّ الأعظم الَّذي يحتاج في دفعه إلى شديدِ مقاومة من القتال وحراسة وإنفاق، كان انتفاء ما بَقي من الضرّ هيّناً، وذلك بالصّبر على الأذى، وقلّة الاكتراث به.(2)

فأعداؤنا من اليهود والنّصارى لا يريدون لنا خيراً ولا رُقيّاً ولا نهضةً، ويسعون جاهدين لكي لا نملك قوّة دينية ولا عسكرية ولا علمية، ومما وقع في الأُمة وقد أخبر به ﷺ متابعة اليهود والنصارى، والتشبه بهم، والأخذ عنهم، عن أبي سعيد الخدريﭬ أن النبي ﷺ قال: (**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ**).(3)

والأُمة اليوم تتسابق وتتسارع في التبعية لليهود والنصارى، والتشبه بهم، حتى أصبح تقليدهم ومضاهاتهم في سلوكهم وأفكارهم وأخلاقهم وسياساتهم معيار التحضر والتقدم والتمدن.

وهذا تحذير للمسلمين من كيد الأعداء، فإنّ اللّه ﻷ حَذّر نبيَّهُ فقال: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة:94]

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ وهكذا تختم الآيات بتصوير حال المنافقين، بتلك الصورة الماكرة الخادعة، وتبين خفاياهم ونواياهم، فهم يظهرون للمؤمنين المودة والإيمان، وهم في الباطن أعداءٌ، يُخفون في أنفسهم ما لا يُبدون، فعلى المسلمين أن يحذروا أعداءهم في كل زمان ومكان، فالله ﻷ محيط بكل افعالهم ومكرهم.(4)

---

(1) قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر ﴿**لاَ يَضُرُّكُمْ**﴾ بضم الضاد ورفع الراء وتشديدها، وقرأ الباقون ﴿**لاَ يَضُرُّكُمْ**﴾ بكسر الضاد وجزم الراء مخففة. انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(242/2).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(200/3).

(3) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، ح 6775 (298/22).

(4) انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني (55/1).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (121– 132)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: وصف غزوة أُحد**
- **المطلب الثاني: التعامل بالربا سبب الهلاك واجتنابه سبب الفلاح.**
- **المطلب الثالث: طاعة الله ورسولهﷺ سبب الرحمة الإلهية**

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (121- 132)

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ *وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ *وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ *لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ *وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ *وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 121-132]

تناولت هذه الآيات عدة مواضيع، منها غزوة أُحد، المعركة الثانية التي خاضها المسلمون مع المشركين، وفيها فضح الله تعالى موقف المنافقين، الذين انسحبوا من القتال، وحاولوا إغراء المسلمين، لولا عصمة الله لهم، بعد ذلك عرض الله ﷻ بعض أحداث غزوة بدر الكبرى، ليذكّر المسلمين بنعمه عليهم، ويؤكد لهم أن النصر من عنده وحده، إذا توكلوا عليه وأخذوا بأسباب النصر والتمكين، كما تناولت الآيات موضوع تحريم الربا، والدعوة إلى تقوى الله ﷻ بامتثال أوامره، وترك نواهيه، والمسارعة إلى الصالحات، والتوبة من المعاصي؛ من أجل نيل مرضاة الله تعالى وجنته.

المطلب الأول: وصف غزوة أُحد

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ *وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ *وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ *

لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ*وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 121-129].

لقد بدأت سورة آل عمران حديثها عن غزوة أُحد، بتذكير المؤمنين بما فعله الرسول ﷺ قبل بدء المعركة من إعداد وتنظيم للصفوف، وبما هَمّ به بعضهم من فشل، وبما تم لهم من نصر على أعدائهم في غزوة بدر الكبرى.

وفي الربط بين غزوة أُحد وبدر، تذكير للمؤمنين بأسباب انتصارهم في غزوة بدر، وبأسباب هزيمتهم في غزوة أُحد؛ حتى يسلكوا في مستقبل حياتهم السبيل التي توصلهم إلى الظفر، ويهجروا الطريق التي تقودهم إلى الفشل.

ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع أيضاً، أن الله ﷻ قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكماً عاماً، ووعداً صادقاً، فذكر نموذجاً من هذا في هاتين القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في بدر لما صبروا واتقوا، ومن حكمة الجمع بين القصتين كذلك، أن الله يُحب من عباده، إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء، ويشكروا الله على نعمه العظيمة.

وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة في قوله: **﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [آل عمران:165]

لقد " كان يوم أُحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحق به المنافقين، ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر، ويوم أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، وكان مما نزل من القرآن في يوم أُحد ستون آية من آل عمران".(1)

قال تعالى: **﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** هذه الآية هي افتتاح القصة، والمرادُ بهذه الوقعة يوم أُحد عند الجمهور.(2)

---

(1) وقد تحدثت الآيات عن غزوة أُحد، التي أنزل فيها ستون آية، من (121- 180)، وجاء في أثنائها الحديث عن غزوة بدر، ليذكّرهم بنعمته تعالى عليهم، حينما نصرهم ببدر وهم قلة. انظر: التفسير المنير، الزحيلي(65/4).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(109/2)، النكت والعيون، الماوردي(255/1)، التفسير الوسيط، طنطاوي(729/1).

سبب النزول

"وفيها نزلت هذه الآية كلها"[1]عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ، قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أي خالي، أخبرني عن قصتكم يوم أُحد، فقال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدْ ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ إلى قوله: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعاساً**﴾.[2]

المناسبة

ومناسبة ذكر هذه الوقعة عقب ما تقدّم، أنَّها من أوضح مظاهر كيد المخالفين في الدّين، ولمَّا كان شأن المنافقين من اليهود وأهل يثرب واحداً، جمع الله مكائد الفريقين بذكر غزوة أُحد. فهذه الآيات تشير إلى وقعة أُحد الكائنة في شوّال سنة ثلاث من الهجرة[3] حين نزل مشركو مكَّة ،ومن معهم من أحلافهم سَفْحَ جبل أُحد، حول المدينة، لأخذ الثَّأر بما نالهم يوم بدر من الهزيمة".[4]

ويتبين لنا مدى الدقة الأدائية في قوله ﷻ: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ أي تجعل لهم مباءة ووطناً،﴿**مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ أي: أماكن للثبات، والحرب كرّ وفرّ وقيام، والذي يحارب يثبته الله في المعركة، فكأنه مُوَطَّنٌ في الميدان، فكأن أمر الرسول ﷺ إلى المقاتلين يتضمن ألا يلتفت أي منهم إلى موطن آخر غير موطنه الذي ثبته وبوَّأته فيه، أي إن هذا هو وطنك الآن؛ لأن مصيرك الإيماني سيكون رهناً به.[5]

واذكر كذلك يا محمد ﷺ ﴿**إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾ [6] لما أثار رأس النفاق بالمدينة، عبد الله بن أبي بن سلول الفتنة بهدف زرع الهزيمة في قلوب المسلمين من البداية، كادت طائفتان من المؤمنين، أن تنصرفا من ساحة المعركة، وهما بنو سلمة و بنو

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(184/4).

(2) أسباب النزول، الواحدي(65/1).

(3) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام(328/3).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(210/3).

(5) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(1163/1).

(6) ظاهر الآية يدل على أن الطائفتين عزمتا على الفشل والترك، وذلك معصية، فكيف بهما أن يقال والله وليهما؟ والجواب: الهم قد يراد به العزم، وقد يراد به الفكر، وقد يراد به حديث النفس، وقد يراد به ما يظهر من القول الدال على قوة العدو، وكثرة عدده، لأن أي شيء ظهر من هذا الجنس، صح أن يوصف من ظهر ذلك منه بأنه هم، بأن يفشل من حيث ظهر منه ما يوجب ضعف القلب، فكان قوله:﴿**إِذْ هَمَّتْ طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَاَ**﴾ لا يدل على أن معصية وقعت منهما بدليل قوله تعالى: ﴿ **والله وَلِيُّهُمَا** } فإن ذلك الهم لو كان من باب الكبائر لما بقيت ولاية الله لهما. انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(369/4).

حارثة،[1] لكن الله ﷻ ثبتهم ومضوا مع رسول الله ﷺ ولم ينصرفوا ولم يتبعوا المنافقين الذين انسحبوا من الغزوة وكان عددهم ثلاثمائة رجل[2]، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا**﴾ بنو سَلِمَةَ وَبنو حَارِثَةَ وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ[3] وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿**وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾.[4]

وقد ختم ﷻ الآية بدعوة المؤمنين إلى التوكل عليه وحده، والتوكل الحقيقي إنما يكون بعد الأخذ بالأسباب التي شرعها الله ﷻ، ثم بعد ذلك يترك الإنسان النتائج للخالق ﷻ يسيرها كيف يشاء.

قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ أفادت قصر التوكل على الله وحده، كما يؤذن به تقديم الجار والمجرور، وإظهار الاسم الجليل للتبرك والتعليل، فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى، واللام في المؤمنين للجنس، فيدخل فيه الطائفتان دخولاً أولياً، وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته[5]، فالنصر لا يكون إلا بشرطين: بالتوحيد والافتقار إلى الله ﷻ، وبالتوكل عليه، كما انتصروا في بدر.

قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾ وهذا "بيان لما يترتب على الصبر والتقوى إثر بيان ما ترتب على عدمهما".[6]

فلما كانت الآيات تتحدث عن غزوة هُزم فيها المسلمون عسكرياً؛ بسبب مخالفتهم لأوامر قيادتهم، يُذّكر الله ﷻ المسلمين بانتصارهم الكبير في غزوة بدر، "مع ما هم عليه من قلة العدد والعُدد، وما كان عليه أعداؤهم من الكثرة في السلاح والرجال، ومع عدم تكافؤ القوتين، كان النصر حليف الفئة المؤمنة القليلة؛ لينبهنا القرآن أن الكثرة والقلة لا أثر لها في النصر، إنما الأثر في العقيدة والإيمان".[7]

---

(1) انظر: البحر المحيط، ابن حيان(374/3)، التفسير الحديث، دروزة(225/7).

(2) السيرة النبوية، ابن هشام(59/2).

(3) قوله (وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول ﴿**وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾)، أي والآية وإن كان في ظاهرها غض منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم. فهي وإن كانت تشعر بوجود تقصير منهم لكنها تدل على ولاية الله لهما. انظر: فتح الباري، ابن حجر(357/7)، الحجج الدامغات، أبو مريم الأعظمي(747/2).

(4) صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب قوله:﴿**إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ**﴾، ح3825(1488/4).

(5) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود(79/2)، التفسير الوسيط، طنطاوي(728/1).

(6) روح المعاني، الألوسي(195/3).

(7) قبس من نور القرآن، الصابوني(155/1).

فالله ﷻ هو الذي نصرهم، ونصرهم لحكمة نص عليها في مجموعة هذه الآيات، وهم لا ناصر لهم من أنفسهم ولا من سواهم، فإذا اتقوا وخافوا فليتقوا وليخافوا الله، الذي يملك النصر والهزيمة، والذي يملك القوة وحده والسلطان، فلعل التقوى أن تقودهم إلى الشكر.[1]

قوله ﷻ: ﴿**وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾ حال من الضمير، وإنما قال أذلة[2] ولم يقل ذلائل؛ تنبيهاً على قلتهم مع ذلتهم، ولضعف الحال وقلة المراكب والسلاح، ﴿**فاتقوا الله**﴾ في الثبات.

يقول تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ "بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصره، أو لعلكم بنعم الله عليكم تشكرون، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه".[3]

قال **تعالى:** ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُنزَلِينَ**[4]﴾[آل عمران:124]، يواصل القرآن الكريم في وصف فصول غزوة بدر الكبرى، فأنزل الله تعالى آياته ليثبت قلوبهم، ويدعوهم للتوكل عليه؛ فينصرهم بجند من جنوده، وهم ثلاثة آلاف من ملائكته؛ ليحاربوا معهم، فقال لهم، ألا يكفيكم هذا المدد الرباني.

قوله ﷻ: ﴿**بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**[5]﴾[آل عمران:125]،

هذه الآية تأكيد من الله تعالى، أنهم إذا صبروا واتقوا ربهم سيمدهم بنصره ويخرجهم من الضيق، تقويةً لهم، وربطاً على قلوبهم، وتثبيتاً لأقدامهم في ساحة المعركة. "**فالإمداد بالملائكة له غايتان:**

1- ادخال السرور في القلوب.

2- حصول الطمأنينة، فإذا علموا أن الله معينهم وناصرهم فلن يجبنوا عن القتال حينئذ".[6]

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(441/1).

(2) جمع ذليل، وفرس ذَلُولٌ من الذُّل ورجل ذلُول بيِّنُ الذِّلَّة والذُّل، ويعني بأذلة أنهم كانوا قليلي العدد. انظر: شرح السنة، البغوي(377/13)، معاني القرآن، النحاس(469/1)، تهذيب اللغة، الأزهري(53/5).

(3) أنوار التنزيل، البيضاوي(368/1).

(4) قرأ ابن عامر ﴿مُنزَّلِينَ﴾ بتشديد الزاي، وقرأ الباقون ﴿مُنزَلِينَ﴾ بتخفيف الزاي. انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(242/2).

(5) قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو، وقرأ الباقون ﴿مُسَوَّمِينَ﴾ بفتحها. انظر: النشر، ابن الجزري(242/2).

(6) التفسير المنهجي، فضل عباس(132/1).

حيث أمدهم أولاً بألف من الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال:9] وهنا: صارت الملائكة ثلاثة آلاف أمدهم سبحانه بها ثانياً، ثم أمدهم ثالثاً بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[1] من التسويم، وهو إظهار علامة الشيء، والمراد معلمين أنفسهم أو خيلهم.[2]

قوله ﷻ:﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ**﴾[آل عمران: 126] أي: وما جعل الله وعده إياكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم إلا بشرى لكم، ولتطمئن قلوبكم بوعده؛ فتسكن إليه، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم، وقلة عددكم.[3]

قال تعالى:﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾[آل عمران: 126] يعني: وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة، فاتقوا الله واصبروا على جهاد عدوكم، فإن الله ناصركم عليهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: ﴿ **ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ [محمد: 4-6] . ولهذا قال هاهنا: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[4] فلم فلم تنتصروا بقوتكم ولا بالملائكة، ولا التخطيط، بل هي أسباب سخرها الله تعالى، فهو القوي الغالب الذي لا يُقهر، وهو الحكيم الذي يضع كل الأمور في نصابها.

قوله ﷻ:﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ**﴾[آل عمران: 127] ليهلك الله طائفة كبيرة من الذين كفروا أو يهزمهم، فقد قُتل منهم سبعون رجلاً وأُسر سبعون[5]، ويخزي ويخزي الفئة الثانية ويغيظها بالهزيمة.

---

(1) عن قتادة: في قوله تعالى ﴿**مُسَوِّمِينَ**﴾ قال ذكر لنا أن سيماهم يومئذ الصوف بنواصي خيلهم وأذنابها وأنهم على خيل بُلق. انظر: الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي(44/1).

(2) انظر: روح المعاني، الألوسي(46/4).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري(191/7).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(114/2).

(5) انظر: غزوات الرسول وسراياه، ابن سعد(20/1)، الرحيق المختوم، المباركفوري(188/1).

عن قتادة قوله: ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ**﴾[1]، فقطع الله يوم بدر طرفاً من الكفار، وقتل صناديدهم ورؤساءهم، وقادتهم في الشر، ثم يوضح الله ﷻ أن علينا الطاعة لأوامره؛ حيث إن له الحكم في الدنيا والآخر.

ومن لطائف القشيري في تفسير هذه الآية قوله "إنَّ الله لا يُشْمِتُ بأوليائه عدواً؛ فالمؤمن وإن أصابته نكبة، فعدوُّه لا محالة يكبه الله في الفتنة والعقوبة"[2] ورجعوا مكبوتين خائبين، لم ينالوا مبتغاهم في إيذاء المسلمين.

قوله ﷻ:﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[آل عمران:128]، أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.[3]

ينبه الله ﷻ في هذه الآية أن الأمر بيده وحده إن شاء هداهم إلى الإسلام، وينالون بذلك رحمته، وذلك ما حدث فعلاً حيث دخل أكثرهم الإسلام، وإن شاء عذبهم؛ لأنهم ظالمون، ولم يتوبوا؛ فاستحقوا بذلك عذابه.

عن سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ إلى قوله ﴿**فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾.[4]

قوله تعالى: ﴿**وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[آل عمران:129]، يخبر الله تعالى أنه هو مالك كل شيء، والمتصرف فيه، يهدي من يشاء من عباده؛ فيغفر لهم، ويعذب من يشاء، وهو الغفور الرحيم بعباده التائبين، فالرحمة والمغفرة من صفاته اللازمة.

قال البقاعي "ولما كان التقدير: بل الأمر له سبحانه وحده، عطف عليه قوله مبينًا لقدرته على ما قدم من فعله بهم على وجه أعم،﴿**ولله**﴾ أي الملك الأعظم وحده ﴿**مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ أي كلها على عظمها من عاقل وغيره، وعبر بـ ﴿**ما**﴾ لأن غير العاقل أكثر وهي به أجدر.

---

(1) اللام في ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً**﴾ متعلق بقوله: ﴿**وَمَا النصر إلاَّ مِنْ عِندِ الله العزيز الحكيم**﴾ والمعنى أن المقصود من نصركم بواسطة إمداد الملائكة هو أن يقطعوا طرفًا من الذين كفروا، أي يهلكوا طائفة منهم ويقتلوا قطعة منهم، قيل: أنه راجع إلى قوله: ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ**﴾}، ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً**﴾ ولكنه ذكر بغير حرف العطف لأنه إذا كان البعض قريبًا من البعض جاز حذف العاطف. انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(377/4)

(2) لطائف الإشارات، القشيري(275/1).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(114/2).

(4) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب ليس لك من الأمر شيء، ح 3842(1493/4).

﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ كذلك مِلكًا ومُلكًا فهو يفعل في مِلكه ومُلكه ما يشاء، وفي التعبير بـ "ما" أيضاً إشارة إلى أن الكفرة الذين السياق لهم في عداد ما لا يعقل."(1)

المطلب الثاني: التعامل بالربا سبب الهلاك واجتنابه سبب الفلاح

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران: 130]، بعد أن حذر المولى ﷻ عباده المؤمنين من أخطر قضيتين يمكن أن يتساهلوا فيهما وهما: طاعة أهل الكتاب، واتخاذ بطانة من غير المؤمنين، "حذر هنا المسلمين من فحش صفة لازمة لليهود والمشركين وهي الربا "(2)، والربا مِن أقدم عصوره وليد اليهود، فهم أُمَّة الإفك والبهتان، والإثم والعدوان، وأكل السُّحت، فقد شجَّع بعضُهم بعضاً على أكل الرِّبا، قال تعالى: **﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا* وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** [سورة النساء: 160-161] وقد فشا في الجاهلية الأولى؛ بسبب مُجاوَرة اليهود، كما تفشَّى في الجاهليات العصرية الآن، بسبب سيطرة اليهود على البنوك والاقتصاد العالمي.

إن الربا من أكبر الكبائر التي حذر الله منها في كتابه، وحذر منها رسول الله ﷺ في سنته، قال رسول ﷺ في بيان شناعة الربا فيما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: **(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ، قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ)**.(3)

إن ما يجري في العالم، من حروب أهلية، وزلازل، وقتل؛ هو سبب لتفشي جريمتي الربا والزنا، هكذا يقول ﷺ:**(مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إلا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ ﷻ)**(4)

أما في الآخرة فقال تعالى: **﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾**[سورة البقرة: 275]

---

(1) نظم الدرر، البقاعي(112/2).

(2) التفسير المنير، الزحيلي(84/3).

(3) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب، قول الله **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾**،ح2615(1017/3).

(4) مسند الإمام أحمد ابن حنبل، ح3809(402/1)، قال الشيخ الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع(985/2).

فذكر تعالى مثلهم عند القيام من قبورهم وهم يقومون، ويقعدون، ويغفون ويُصرعون في الاضطراب والقلق وتعذيب الضمير والوجدان والانهماك في الأعمال والدّنيا، كمثل حال من يصرع في الدنيا بمس الجنون، وهم في الآخرة -من وقت قيامهم من قبورهم إلى البعث والنشور- أشدّ تخبّطاً واضطراباً وتثاقلاً في حركاتهم، بسبب ثقل المال الحرام الذي أكلوه من الرّبا، إنه يبعث كالمجنون؛ عقوبة له.[1]

وحكمة تحريم الرّبا هي قصد الشَّريعة حملَ الأمَّة على مواساة غنيِّها محتاجَها، احْتياجاً عارضاً موقّتاً بالقرض، فهو مرتبة دون الصدقة، وهو ضرب من المواساة، ويمكن أن يكون مقصد الشريعة من تحريم الرّبا؛ البعد بالمسلمين عن الكسل في استثمار المال، وإلجاؤهم إلى التشارك والتعاون في شؤون الدنيا، فيكون تحريم الرّبا ولو كان قليلاً، مع تجويز الربح من التِّجارة والشركات، ولو كان كثيراً؛ تحقيقاً لهذا المقصد.[2]

يقول ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:130]

وفي الآية نداء من الله تعالى للمؤمنين بأن يجتنبوا أكل الربا؛ لأنه سبب الخراب والهزيمة، وعقبة من عقبات الثبات، وخاطب الله المؤمنين، لأن الإيمان يستدعي إتيان أوامره واجتناب نواهيه.

والحكمة من إدراج وإدخال آية تحريم الربا في قصة الغزوات[3] أنه قد تقدم أن الله تعالى وعد عباده المؤمنين، أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم على أعدائهم، وخذل الأعداء عنهم، كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾، ثم قال: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ**﴾، وأن عدم تقوى الله يجعل الدنيا تسكن قلب العبد، حينئذ يصبح مستعداً لبيع دينه، وارتكاب كل المحرمات، من أجل الحفاظ عليها، لذا أكد الله ﷻ على أن تقواه هو سبب الفلاح في الدنيا بالنصر والتمكين، وفي الآخرة بالفوز بالجنة.

---

(1)انظر: فتح القدير، الشوكاني(401/1)، أيسر التفاسير، الجزائري(86/3) التفسير المنير، الزحيلي(140/1).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(215/3).

(3) وضع هذه الآيات الواردة في الترهيب والترغيب والإنذار والتبشير، في سياق الآيات الواردة في قصة أُحد، هو من سنة القرآن في مزج فنون الكلام، وضروب الحكم والأحكام بعضها ببعض. انظر: تفسير المنار، محمد رضا(100/4).

فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى، التي يحصل بها النصر والفلاح والسعادة، فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال التقوى، التي إذا قام العبد بها فقيامه بغيرها من باب أولى وأحرى(1).

"فالنهي عن أكل الربا في سياق التعقيب على المعركة الحربية أمر يبدو إذن مفهوماً في هذا المنهج الشامل البصير، والتعقيب على هذا النهي بالأمر بتقوى الله رجاء الفلاح واتقاء النار التي أعدت للكافرين، إنه لا يأكل الربا إنسان يتقي الله ويخاف النار التي أعدت للكافرين، ولا يأكل الربا إنسان يؤمن بالله، ويعزل نفسه من صفوف الكافرين، والإيمان ليس كلمة تقال باللسان، إنما هو اتباع للمنهج الذي جعله الله ترجمة عملية واقعية لهذا الإيمان، وجعل الإيمان مقدمة لتحقيقه في الحياة الواقعية وتكييف حياة المجتمع وفق مقتضياته".(2)

المطلب الثالث: طاعة الله ورسولهﷺ سبب الرحمة الإلهية

بعد أن توعدَ الله ﷻ الفاسقين والعصاه بالنار وحذرهم منها، عند المخالفة لأوامره، وارتكاب نواهيه فقال تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[آل عمران:130-131] يدعو الله تعالى عباده إلى أن يجعلوا بينهم و بين النار حجاباً، وذلك بطاعته وطاعة رسولهﷺ، واجتناب ما حرم الله تعالى لنيل رحمته، ﴿ **وَاتَّقُواْ النَّارَ**﴾ أي: احترزوا عن متابعة المرابين وتعاطي ما يتعاطونه من أكل الربا المفضي إلى دخول النار أن تصلوْها بأكلكم الربا.(3)

وكان أبو حنيفة -رحمه الله- يقول: "هي أخوف آية في القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين، إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، فَخوَّف آكل الربا من المؤمنين بالنار التي أعدت للكافرين (4)، ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة، والتمني على الله تعالى. (5)

قوله ﷻ:﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ ترشد الآية إلى تجنب ما يفعله الكفار في معاملاتهم، والتحذير والتنفير من النَّار وما يوقع فيها، بأنَّها معدودة للكافرين وإعدادها للكافرين عَدلٌ من الله تعالى وحكمة؛ لأنّ ترتُّب الأشياء على أمثالها من أكبر مظاهر الحكمة، ومَن

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي(147/1).

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب(445/1).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري(206/7)، روح المعاني، الألوسي(215/3).

(4) انظر: غرائب القرآن، النيسابوري(257/2)، الموسوعة القرآنية، الأبياري(258/9).

(5) انظر: الكشاف، الزمخشري(323/1) البحر المحيط، أبو حيان(385/3)، مدارك التنزيل، النسفي(182/1).

أشركوا بالله مخلوقاته، فقد استحقّوا الحرمان من رحماته، والمسلمون لا يرضَون بمشاركة الكافرين، لأنّ الإسلام الحقّ يوجب كراهية ما ينشأ عن الكفر، وذاك تعريض واضح في الوعيد على أخذ الربا.[1]

وقوله تعالى:﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾ يعني في تحريم الربا، وقولهﷻ: ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ يعني لكي تُرحموا فلا تُعذبون، وقد قيل إن ذلك معاتبة من الله ﷻ أصحابَ رسول الله ﷺ الذين خالفوا أمرَه يوم أُحد، فأخلُّوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها، وعقّب الوعيدَ بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الطاعة، وإيرادُ ﴿**لَعَلَّ**﴾ في الموضعين للإشعار بعزة منالِ الفلاحِ والرحمة.[2]

"فمن هداية الآية، وجوب طاعة الله ورسوله؛ للحصول على الرحمة الإلهية، وهي العفو والمغفرة ودخول الجنة".[3]

"والطاعة هي موافقة الأمر الجاري عند المأمور، مع مراد الأمر، قال رسول الله ﷺ: **(من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله)**.[4]

قال محمد بن إسحاق[5]: "إن هذه الآية من قوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ**﴾ هي ابتداء المعاتبة في أمر أُحد، وانهزام من فر، وزوال الرماة عن مراكزهم".[6]

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(215/3) وفتح القدير، الشوكاني(24/2).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود(455/1)، أنوار التنزيل، البيضاوي(387/1).
(3) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري(203/1).
(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، ح2957(50/4).
(5) **محمد بن إسحاق (؟ - 150 ويقال بعدها)**

هو محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي المدني ، تابعي، رأى أنس بن مالك ، قال ابن حجر : "هو أحد الأئمة الأعلام". روى عن سعيد بن أبي هند والمقبري وعطاء ونافع وطبقتهم. كان أحد أوعية العلم، حبرًا في معرفة المغازي والسير. قال ابن حجر العسقلاني في شأنه: إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، من تصانيفه: "السيرة النبوية" المشهورة بسيرة ابن إسحاق، التي هذبها ابن هشام. انظر: الأعلام، الزركلي(28/6)، تذكرة الحفاظ، الذهبي(130/1) وميزان الاعتدال، الذهبي(56/6).

(6) المحرر الوجيز، ابن عطية(3/2).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران

من الآية(133—152)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (133—138)

- **المبحث الثاني:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (139— 145)

- **المبحث الثالث:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (146 — 152)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (133– 138)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: الأمر بالمسارعة والمنافسة في الخيرات**
- **المطلب الثاني: صفات المؤمنين**
- **المطلب الثالث: الاعتبار بمصائر الأُمم السابقة**

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (133- 138)

قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ*ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ*وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ*أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[آل عمران: 133-138]

بعد النهي عن أكل الربا، والتحذير من النار، التي أُعدت للكافرين، والدعوة إلى التقوى، رجاء الرحمة والفلاح، أمرهم ﷻ بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم.

المطلب الأول: الأمر بالمسارعة والمنافسة في الخيرات

قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. يأمر الله ﷻ المؤمنين بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، والقرآن الكريم يحرص على حث المسلم دائماً على العمل الصالح، الذي يوصله الى مغفرة الله تعالى ويدخله في رحمته، وقد جاءت الآيات هنا لتحثهم على ذلك، فهو سبحانه يقول لهم: بادروا إلى العمل الذي يوصلكم إلى مغفرة الله تعالى، ويدخلكم جناته الواسعة التي أعدها الله للمتقين؛ الذين صانوا أنفسهم عن محارم الله، وجعلوا بينهم وبينها ستراً.[1]

في الآية مسألتان:

الأولى: قوله ﷻ:﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾[2]، قال أبو جعفر الطبري: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بادروا وسابقوا يعني: إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها".[3]

(1) انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس(138/1).

(2) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿سَارِعُوٓاْ﴾ (بغير واو) قبل السين، وقرأ باقي السبعة ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾(بالواو). انظر: النشر، ابن الجزري(242/2).

(3) جامع البيان، الطبري(207/7).

وتقديم المغفرة على الجنة في قوله تعالى ﴿**مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ**﴾ لما أن التخلية مقدمة على التحلية، وقيل: لأنها كالسبب لدخول الجنة.(1)

قال ابن عثيمين: "من أطاعه دخل الجنة، وهذا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾.(2)

"والسرعة مقابلها العجلة، والسرعة هي التقدم فيما ينبغي، ومعنى أن تتقدم فيما ينبغي، أنك تجعل الحدث يأخذ زمناً أقل، وهي محمودة، وضدها الإبطاء، فالسرعة محمودة، والإبطاء مذموم، لكن العجلة تقدم فيما لا ينبغي، وهي مذمومة، مقابلها التأني، والتأني ممدوح، وإن الحق حين يقول: ﴿**وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ**﴾ أي: خذوا المغفرة وخذوا الجنة بسرعة، لأنك لا تعرف كم ستبقى في الدنيا، إياك أن تؤجل عملاً من أعمال الدين، أو عملاً من أعمال الخير؛ لأنك لا تعرف أتبقى له أم لا، فانتهز فرصة حياتك وخذ المغفرة وخذ الجنة".(3)

وفي الجنة من أنواع النعيم، كما أخبر النبي ﷺ يقول الله تعالى **(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)** قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرءوا إن شئتم ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: 17]. (4)

وأعظم نعيم الجنة رؤية أهلها لربهم ﷻ عياناً بأبصارهم(5) كما قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: 22- 23].

المسالة الثانية: قوله تعالى: ﴿**عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**﴾ تقديره (كعرض) فحذف المضاف، كقوله: ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [لقمان:28] أي: إلا كخلق نفس واحدة وبعثها إن معنى قوله: ﴿**عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ** ﴾ تنبيهاً على اتساع طولها، كما قال في صفة فرش الجن ﴿**بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**﴾ [الرحمن: 54] أي: فما ظنك بالظهائر.(6)

---

(1) انظر: روح المعاني، الألوسي(215/3).
(2) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن العثيمين(16/1).
(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي(1185/1).
(4) صحيح البخاري، كتاب، باب قوله ﷻ: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، ح 4406 (456/14).
(5) انظر: رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي(1114/1 وما بعدها).
(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(117/2).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: 21] والمراد وصفها بالسعة والبسطة"[1] فقوله ﷻ:﴿وَسَارِعُوٓا﴾ و﴿سَابِقُوا﴾ فيه الأمر بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرته وجنته جل وعلا وذلك بالمبادرة والمسابقة إلى امتثال أوامره.[2]

عن أنس بن مالك قال لما دنا المشركون قال النبي ﷺ: **(قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)** قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض قال: نعم قال: بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ: **(ما يحملك على قولك بخ بخ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها إذاً لحياةٌ طويلةٌ قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل)**.[3]

قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ "يدل على أن تقوى الله هو السبب الذي به تنال الجنة".[4]

المطلب الثاني: صفات المؤمنين

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ*وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ*أُولَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: 134-136]

يخبر الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة عن بعض صفات عباده المؤمنين المتقين ومنها:

1- الإنفاق في السراء والضراء: ينفقون الأموال والجهد في طاعة الله، في جميع الأحوال "وهم ثابتون على البذل، ماضون على النهج، لا تغيرهم السراء ولا تغيرهم الضراء، السراء لا تبطرهم فتلهيهم، والضراء لا تضجرهم فتنسيهم، إنما هو الشعور بالواجب في كل حال، والتحرر من الشح والحرص، ومراقبة الله وتقواه وما يدفع النفس الشحيحة بطبعها المحبة للمال بفطرتها، ما يدفع النفس إلى الإنفاق في كل حال إلا دافع أقوى من شهوة المال وربقة الحرص وثقلة الشح دافع

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(109/3)، معالم التنزيل، البغوي(104/2)، الكشاف، الزمخشري، (324/1).

(2) انظر: مشكاة المصابيح، التبريزي(815/8).

(3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب، ثبوت الجنة للشهيد، ح 3520(500/9).

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي(17/ 94).

التقوى، ذلك الشعور اللطيف العميق الذي تشف به الروح وتخلص وتنطلق من القيود والأغلال".[1]

وقد قال رسول الله ﷺ:**(اليد العليا خير من اليد السفلى)**.[2]

2- كظم الغيظ: وامتلاك أنفسهم عنده، وعدم التصرف عند الغضب بما يؤدي إليه، ولا يعلمون أحداً به، احتساباً لله تعالى "والإسلام لا يريد من المؤمن أن يُصب في قالب من حديد لا عواطف له، بل يريد للمؤمن أن ينفعل للأحداث أيضاً، لكن الانفعال المناسب للحدث، الانفعال السامي، الانفعال المثمر، ولا يأتي بالانفعال المدمر. لذلك يقول الحق: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح: 29] فالمؤمن ليس مطبوعاً على الشدة، ولا على الرحمة، ولكن الموقف هو الذي يصنع عواطف الإنسان، فالحق سبحانه يقول: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[المائدة: 54] وهل هناك من هو ذليل عزيز معاً؟ نقول: المنهج الإيماني يجعل المؤمن هكذا، ذلة على أخيه المؤمن وعزة على الكافر".[3]

3- العفو عن الناس: فلا يؤاخذون أحداً بذنب جناه عليهم، بل يعفون ويسامحون، ويدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمةً بهم، وإحساناً إليهم، وكراهةً لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال ﷻ: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [الشُّورى:40][4] فوصف الله ﷻ المتقين بمعاملة الخلق بالإحسّان إليهم بالإنفاق، وكظمِ الغيظ، والعفو عنهم، فجمع بين وصفهم ببذل النَّدى، واحتمال الأذى، وهذا هو غايةُ حسن الخلق[5]

4- الاستغفار للذنوب: وذِكرُ الله عند الذنب، والخوف من عقابه؛ بما يبعث على التوبة، والإقلاع عن المعصية، والندم على اقترافها، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَغْفِرُ الذنوب إِلاَّ الله**﴾[آل عمران: 135] "وهذا وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة، وإنّ التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأنّ عدله يوجب المغفرة للتائب، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب(446/1).

(2) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ح1472(440/1).

(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي(1188/1).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي(148/1).

(5) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب البغدادي(23/19).

والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم"[1]

والفاء في قوله ﴿**فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾ للدَلالة على أن ذكرَه تعالى مستتبعٌ للاستغفار لا محالة[2] والإحسان إلى المسيء، حيث إنه يحب صاحب هذه الصفة، وكفى بذلك مكسباً.

5- عدم الإصرار على الفاحشة: لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب، ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ حال من (يصروا) أي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به[3]

"وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات: متقون، وتائبون، ومصرّون، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرِّين، ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه".[4]

فالمهم أن لا يكون هناك إصرار واستمرار على ارتكاب الفاحشة، أو الوقوع في المعصية، أو استهانة بعقابها، وأن يكون لديهم العلم بأنه لا يغفر الذنب إلا الله ﷻ، لهذا قال تعالى: ﴿**أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ**﴾[آل عمران: 136].

والمعنى أن المطلوب أمران، **الأول:** الأمن من العقاب واليه الإشارة بقوله: ﴿**مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ **والثاني:** إيصال الثواب اليه وهو المراد بقوله: ﴿ **وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا**﴾ ثم بين ﷻ أن الذي يحصل لهم من ذلك وهو الغفران والجنات يكون أجراً لعملهم وجزاءً عليه بقوله: ﴿ **وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ** ﴾[5]

وأولئك المتقون المتصفون بتلك الصفات، لهم مغفرة من الله تعالى، ولهم ثواب عظيم عند ربهم، ولهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وإن هذا الجزاء إنما هو على تلك الأعمال التي منها ما هو نافع للأمة كإنفاق المال، ومنها ما هو إصلاح لنفس الإنسان، وذكرت هذه الصفات في سياق غزوة أُحد التي كانت فيها دروس كثيرة للمسلمين، فذكر سبحانه الإنفاق في السراء والضراء، وذلك لحاجة المجاهدين إليه.[6]

إن هذه التوجيهات والإرشادات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة، فالنفس لا تنتصر في

---

(1) الكشاف، الزمخشري(324/1).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود(457/1).

(3) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي(390/1).

(4) البحر المحيط، أبو حيان(392/3).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(391/4).

(6) انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس(140/2).

المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية، والذين تولوا يوم التقى الجمعان في غزوة أُحد إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب، والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب، والالتجاء إلى الله، والالتصاق بركنه الركين، والتطهر من الذنوب، والالتصاق بالله، والرجوع إلى كنفه من عدة النصر، وليست بمعزل عن الميدان! وكظم الغيظ والعفو عن الناس من عدة النصر. (1)

المطلب الثالث: الاعتبار بمصائر الأمم السابقة

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 137-138].

الآيات الكريمة كانت تحدثنا عن غزوة أُحد، وغزوة بدر، ثم انعطف الحديث في ثنايا الحديث عن الجهاد، إلى موضوعات أخرى، مثل النهي عن أكل الربا، والتخويف من النار، والترغيب في الجنة والتحلي بصفات أهلها، ثم يعود الكلام إلى موضوع الجهاد مرة أخرى، وذلك حتى لا ييأس المؤمنون من روح الله، وجاءت الآيات الكريمة أيضاً تسليهم وتواسيهم وتداوي جراحهم بذلك البلسم الشافي، بلسم الصبر والإيمان.(2)

ينبغي أن نعلم أن الله تعالى لما وعد على الطاعة والتوبة من المعصية، الغفران والجنات، أتبعه بذكر ما يحملهم على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية، وهو تأمل أحوال القرون الخالية من المطيعين والعاصين (3) فقال:﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ**﴾(4) [آل عمران: 137].

وهذا رجوع إلى وصف باقي القصة، وفي هذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة أُحد يخبر تعالى عباده المؤمنين أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاولة، ثم جعل الله العاقبة للمتقين، والنصر لعباده المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدُّولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم.(5)

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 459/1.

(2) انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني(157/1).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(392/4).

(4) **السنن:** جمع سنة، وهي الطريق المستقيم، وقال مجاهد: :﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ**﴾ يعنى بالهلاك فيمن كذب قبلكم. والعاقبة: آخر الأمر، وهذا في يوم أُحد. انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(216/4).

(5) **استئناف ابتدائي:** تمهيداً لإعادة الكلام على ما كان يوم أُحد، وما بينهما استطراد، وهذا مقدمة التسلية والبشارة، ابتدأت هذه المقدمة بحقيقة تاريخية: وهي الاعتبار بأحوال الأُمم الماضية. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(95/4).

ولما حدث ما حدث من انكسار المؤمنين بسبب عدم الصبر، والطاعة اللازمة للقيادة، ذكر تعالى تلك الأحداث مقرونة بفقهها؛ لتبقى هدى وموعظة للمتقين من المؤمنين، وأخبر تعالى المؤمنين بأن قد مضت فيمن قبلهم من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، فقد أرسل الله تعالى إليهم رسله فكذبوهم فأمضى تعالى سننه فيهم فأهلك المكذبين وأنجى المؤمنين، بعد ما نالهم من أذى أقوامهم المكذبين، وستمضي سنته اليوم كذلك، فينجيكم وينصركم ويهلك المكذبين أعداءكم، وإن ارتبتم فسيروا في الأرض وقفوا على آثار الهالكين، وانظروا كيف كانت عاقبتهم.(1)

لعل هذه المعرفة تفيدكم في طاعتكم لله تعالى وتعينكم على متابعة نبي الله محمدﷺ، ومَن سار في الأرض، وتعقب أحوال الأمم، وتدبّر التاريخ وعرف الأخبار، يجد مصداق تلك السّنة الإلهية الثابتة وهي الفوز لمن أحسن، والخيبة لمن أساء.

"وفي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها، وإنما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأن في المخاطبين من كانوا أميين، ولأن المشاهدة تفيد من لم يقرأ علماً، وتُقوي علم من قرأ".(2)

وفي هذا تنبيه لمن أساء وخالف أمر النّبي ﷺ في أُحد، وأخذ يشجعهم على الجهاد لذوي الفساد، فبدأ بالسبب الأقوى، وهو الأمر بمشاهدة مصارع من مضى من المكذبين برؤية ديارهم وتتبع آثارهم مع أنهم كانوا أشد خلقاً وأقوى همماً وأكثر عدداً وأحكم عدداً، وتذكير بأنّ النّصر يوم بدر كان بسبب الثبات وصدق اللقاء وطاعة اللّه والرّسول وحسن التّوكل على اللّه والثقة بقدرته ورحمته وفضله (3)، ويبين الله للمسلمين أن مشيئته اقتضت أن تكون العاقبة للمؤمنين الصادقين وأن يمهل الكافرين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر(4) بسبب طغيانهم، وأنتم أيها المؤمنون إذا سرتم في طريق الضالين ممن قبلكم، وَحِدْتم عن سننه، فإن عاقبتكم ستكون وخيمة مثل عاقبة من قبلكم فقد حذرهم الله بقوله مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك بي، فإني أمليت لهم أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوكم وعدوي للدولة التي أدلتهم بها عليكم؛ ليبتليكم بذلك ليعلمكم ما عندكم.(5)

---

(1) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري(206/1).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(97/4).

(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي(118/2)، التفسير المنير، وهبة الزحيلي(98/4).

(4) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام(61/4).

(5) انظر: جامع البيان، الطبري،(229/7)،روح المعاني، الألوسي(228/3)، التفسير المنهجي، فضل عباس(143/1).

ثم يقول ربنا ﷻ: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: 138] "لما تكفلت هذه الجمل بالهداية إلى سعادة الدارين نبه على ذلك سبحانه وتعالى بقوله على طريق الاستفتاح"(1)

فالمقصود بقولهﷻ: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ**﴾(2) أي: دلالة ظاهرة، تبين للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، عن قتادة قوله: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ**﴾ وهو هذا القرآن، جعله الله بياناً للناس عامة، وهدىً وموعظةً للمتقين خصوصاً(3) فالقرآن بيان وتوضيح بما يحتاجه الناس كلهم، لصلاح دينهم، ودنياهم، وآخرتهم وفيه بيان للأمور على جليتها، وكيف كان الأممُ الأقدمون مع أعدائهم (4)، **قال القاضي**(5): "كونه بياناً للناس ظاهر، وهو في ذاته أيضاً هدىً وموعظةً، لكن من عمي بالكفر وضل وقسا قلبه؛ لا يحسن أن يضاف إليه القرآن، وتحسن إضافته إلى المتقين، الذين فيهم نفع وإياهم هدى"(6)

قوله تعالى:﴿**وَهُدًى**﴾ الهدى بيان طريق الرشد ليسلك دون طريق الغي"(7) وتذكير تخشع له قلوب المتقين، وهم الذين يخشون الله، وخُصُّوا بذلك؛ لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم.

والإرشاد عام لجميع الناس، وحجة على المؤمن والكافر، وذلك يدحض ما قاله المشركون لو كان محمدٌ رسولاً حقاً لما غُلب في وقعة أُحد. فهذا البيان والهدى يرشدان إلى أن سنن الله حاكمة على الأنبياء والرسل، كما هي حاكمة على سائر خلقه، فما من قائد يخالفه جنده، ويتركون حماية الثغر الذي عهد إليهم بحمايته، إلا كان جيشه عرضة للهزيمة.(8)

---

(1) نظم الدرر، البقاعي(118/2).

(2) هذا إشارة إلى قوله: ﴿**قد خلت من قبلكم سنن**﴾ انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(213/4).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري(232/7)، المحرر الوجيز ، ابن عطيه(103/1).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(126/2).

(5) **القاضي عياض (476 وعند البعض 496- 544 هـ)**

هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل. أصله من الأندلس، ثم انتقل آخر أجداده إلى مدينة فاس، ثم من فاس إلى سبتة. كان إماما حافظا محدثا فقيها متبحرا. من تصانيفه: (التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة). والنجوم الزاهرة، جمال الدين الأتابكي (285/5)، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة(16/8).

(6) المحرر الوجيز ، ابن عطية (9/2).

(7) انظر: روح المعاني، الألوسي(229/3)، تفسير الشعراوي، الشعراوي(1200/1).

(8) انظر: أيسر التفاسير، أسعد حومد(431/1).

قال ابن عاشور: "فإن جعلت الإشارة إلى مضمون قوله: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ** ﴾ فإنها بيان لما غفلوا عنه من عدم التلازم بين النصر وحسن العاقبة، ولا بين الهزيمة وسوء العاقبة، وهي هدى لهم لينتزعوا المسببات من أسبابها، فإن سبب النجاح حقاً هو الصلاح والاستقامة، وهي موعظة لهم ليحذروا الفساد ولا يغتروا كما اغتر عاد إذ قالوا من أشد منا قوة."[1]

قال تعالى:﴿**وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ لأنهم هم المنتفعون بالآيات فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم، ولأنهم هم الذين تكمل لهم الفائدة، لأنهم يتجنبون ويتقون نتائج الإهمال التي يظهر لهم أن عاقبتها ضارة، فليزن مسلمو هذا الزمان إيمانهم وإسلامهم بهذه الآيات، ولينظروا أين مكانهم من هدايتها، وما هو حظهم من موعظتها؟. والموعظة هي ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه طاعة، و حمل النفس ترغيبا وترهيبا، لعمل الخير بالترغيب، والبعد عن الشر بالترهيب.[2]

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور(98/4).

(2) انظر: تفسير المنار، محمد رضا(118/4).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (139– 145)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: مواساة المؤمنين بعد أُحد**
- **المطلب الثاني: سُنة الابتلاء لتمحيص ومحق الكافرين**
- **المطلب الثالث: التحذير من الانقلاب على الأعقاب**

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (139- 145)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ*إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ*وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ*أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ*وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ* وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 139-145]

أمرت الآيات الكريمة المؤمنين بالتجلّد والصبر، ونهتهم عن الوهن والضعف، وبشرتهم بأنّهم هم الأعلون، وشجعتهم على مواصلة الجهاد في سبيل الله ﷻ، فإنّ العاقبة لهم، وأخبرتهم بأنَّ ما أصابهم من آلآم وجراح في غزوة أُحد، قد أُصيب أعداؤهم بمثلها، وأنَّ الأيام دُول، وأنَّ هزيمتهم في تلك الغزوة من ثمارها، أنها ميزت قوي الإيمان من ضعيفه، لأن المصائب كثيراً ما تكشف عن معادن النفوس، وخفايا الصدور، واتجاهات العواطف.

المطلب الأول: مواساة المؤمنين بعد أُحد

قالﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 139-140]

هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد، زيادة على ما أصابهم من القتل والقرح يوم أُحد، و تعزيةٌ[1] لأصحاب رسول الله ﷺ ، لذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي لا تضعفوا فتقعدوا عن الجهاد والعمل، فالعاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون، ولا تحزنوا على ما فاتكم من رجالكم، ولا تأسوْا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ.

والمراد بالوهن الضعف، وأصله ضعف الذات، كالجسم في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم:4] وهو هنا مجاز في خور العزيمة، وضعف الإرادة، وانقلاب الرجاء يأساً، والشجاعة جبناً، واليقين شكاً؛ ولذلك نهوا عنه.

أما **الحزن** فهو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار. والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة. فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(216/5).

نهيٌ عن سببهما وهو الاعتقاد[1] هكذا يتجه القرآن إلى المؤمنين بالتثبيت والتعزية فينهاهم عن أسباب الفشل والضعف، ويأمرهم بالصمود وقوة اليقين، ويبشرهم بأنهم هم الأعلون[2]؛ لذلك جاء قوله تعالى: ﴿**وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾، لأن "عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده، وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه! ومنهجكم أعلى، فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله تعالى، وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله! ودوركم أعلى. فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها، الهداة لهذه البشرية كلها، وهم شاردون عن النهج، ضالون عن الطريق. ومكانكم في الأرض أعلى، فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون".[3]

ثم أضاف سبحانه إلى ذلك تسلية جديدة لهم، فأخبرهم بأن ما أصابهم من جراحٍ وآلامٍ قد أُصيب أعداؤهم بمثله؛ فقال ﷻ: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ**[4] **فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[آل عمران:140] أي إن ما أصابكم من القرح في أُحدٍ ليس مما ينبغي أن يكون موهناً لأمركم ومضعفاً لكم في عملكم ولا موجباً لحزنكم وانكسار قلوبكم؛ فإنه لم يكن نصراً تاماً للمشركين عليكم، وإنما هو تربيةً لكم على ما وقع منكم من مخالفة قائدكم ﷺ في تدبيره الحربي المحكم، وفشلكم وتنازعكم في الأمر، وذلك خروج عن سنة الله في أسباب الظفر، وبهذه التربية تكونون أحقاء بألا تعودوا إلى مثل تلك الذنوب، واعلموا أنه إن يمسسكم قَرْح بموتٍ أو جراحاتٍ لا ينبغي أن يكون ذلك موهناً لكم، قاعداً بكم عن مواصلة الجهاد، فإن عدوكم قد مسّه قَرْح مثله وذلك في معركة بدر، والحرب سِجَال يومٌ لكم ويومٌ عليكم وهى سنة من سنن ربكم في الحياة.

وهذا من تمام قوله: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾ فبين تعالى أن الذي يصيبهم من القرح لا يجب أن يزيل جدهم واجتهادهم في جهاد العدو، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، فاذا كانوا مع باطلهم، وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب.[5]

فأنتم أولى بالتماسك وعدم التخاذل منهم؛ لأنكم على الحق وإن أصابكم أذى من عدوكم فلا تهنوا، ولا تحزنوا "ومداولة الأيام وتعاقب الشدة والرخاء، محك لا يخطئ وميزان لا يظلم، والرخاء في هذا كالشدة، وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك ولكنها تتراخى بالرخاء وتنحل. والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ولا تستخفها السراء وتتجه إلى الله في الحالين وتوقن أن ما أصابها

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(98/4).
(2) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي(747/1).
(3) في ظلال القرآن، سيد قطب(452/1).
(4) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿قُرْحٌ﴾ بضم القاف في الموضعين، وقرأ الباقون ﴿قَرْحٌ﴾ بفتحهما. انظر: النشر، ابن الجزري(242/2).
(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(395/4).

من الخير والشر فبإذن الله"(1) لذلك تجلدوا وتماسكوا، فقد أصابهم كذلك ما أصابهم وتماسكوا وهم على الباطل، وهكذا يمضي السياق ليكشف للأمة المسلمة عن جوانب من حكمة الله فيما وقع من أحداث المعركة، ثم بعد هذا العزاء الكريم الحكيم، ذكر تعالى لهم علَّة هذا الحدث الجَلَل، والسر فيه، في قوله ﷻ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الذين آمَنُواْ﴾ (2)، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المعلل محذوفاً والمعنى: وليتميز الثابتون على الإيمان منكم من الذين على حرف، وهو من باب التمثيل، بمعنى: فعلنا ذلك، فعل مَنْ يريد أن يعلمَ مَنْ الثابت على الإيمان منكم مِن غير الثابت، وإلا فالله ﷻ لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها.

والثاني: أن تكون العلة محذوفة، والمعنى ليسليهم عما جرى عليهم، وليبصرهم بأن العبد يسوؤه ما يجرى عليه من المصائب، ولا يشعر أن لله فى ذلك من المصالح ما هو غافل عنه.(3)

أي ليظهر بهذا الحادث المؤلم إيمان المؤمنين، وفعلاً فالمنافقون رجعوا من الطريق بزعامة رئيسهم المنافق الأكبر، عبد الله بن أبي بن سلول، والمؤمنون واصلوا سيرهم وخاضوا معركتهم فظهر إيمانهم واتخذ الله ﷻ منهم شهداء.(4)

وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين حمزةُ بنُ عبدِ المطلّب، ومصعبُ بنُ عميرٍ صاحبُ رايةِ رسولِ الله ﷺ ،وعبدُ اللَّه بنُ جحشٍ ابنُ عمة النبي ﷺ، وعثمان بن مظعونٍ، وسعدٌ مولى عتبةَ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ومن الأنصار سبعون رجلاً ﵃.(5)

وقد **أخرج الواحدي** عن ابن عباس أنه قال: "انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد، فبينما هم كذلك إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدون أن يعلوا عليهم الجبل، فقال النبيﷺ: اللهم لا قوة لنا إلا بك، اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر، فأنزل الله ﷻ هذه الآية، وثاب نفر من المسلمين فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم".(6)

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب(435/1).

(2) قال الزجاج: أراد العلم الذي يترتب عليه الجزاء وهو ثباتهم على الإيمان، وعدم تزلزلهم في حال الشدة. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(104/4).

(3) انظر: الكشاف، الزمخشري(327/1).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري(234/7)، أيسر التفاسير، الجزائري(206/1)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا(118/4).

(5) انظر: معالم التنزيل، البغوي(110/2)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود(459/1).

(6) أسباب النزول، الواحدي(83/1).

"وقد ذكر الله أن الغرض من هذا الابتلاء بالجهاد في سبيل الله وقتال الأعداء؛ عزة الدين، وأن يمتحن النفوس، فيرى من يصبر عند الشدائد، ويكرم بعضهم بنعمة الشهادة في سبيل الله، التي هي أجل النعم عند الله، ولا ينالها إلا من صفت نفسه وثبت يقينه"[1]، والحكمة من امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم ليمحصهم وليخلصهم وليهذبهم [2]، ويعدهم إلى مرحلة الاصطفاء؛ فجاء قولهﷻ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وهو تعبير عجيب عن معنى عميق إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين ويتخذهم لنفسه سبحانه فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد. إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص.

إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة ليستخلصهم لنفسه سبحانه ويخصهم بقربه.[3]

وجاءت الفاصلة القرآنية في قولهﷻ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ لبيان أن أعداءهم من المشركين لا يحبهم الله، أي لا يعاملهم معاملة المحب للمحبوب، لأنهم يظلمون أنفسهم ويسفهونها بعبادة المخلوقات، واجتراح السيئات، ويظلمون غيرهم بالفساد في الأرض، والبغي على الناس وهضم حقوقهم، والظالم لا تدوم له سلطة، ولا تثبت له دولة، فإذا أصاب غرة من أهل الحق والعدل فكانت له دولة في حرب أو حكم، فإنما تكون دولته سريعة الزوال، قريبة الانحلال والاضمحلال، وفيه تعريض أيضاً بالمنافقين فإنهم أظلم الظالمين"[4].

المطلب الثاني: سُنة الابتلاء لتمحيص المؤمنين ومحق الكافرين

قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: 141-143]

ما يزال الكلام عن أهل غزوة أُحد، ففي الآيات السابقة إرشاد إلى أنه لا ينبغي لهم أن يحزنوا أو يضعفوا، وأنّ ما أصابهم من المحنة والبلاء، جاء على سنّة اللّه الثابتة في المداولة بين الناس، ولتمحيص أهل الحق والإيمان، وكان فيها تقوية معنوية وتسلية للمؤمنين؛ كي يتربّوا على حبّ الجهاد والتّحلي بالصفات التي ينالون بها النصر، وقد أنكر تعالى على المؤمنين ظنهم أنهم بمجرد إيمانهم يدخلون الجنة، بدون أن يبتلوا بالجهاد والشدائد تمحيصاً وإظهاراً للصادقين منهم في دعوى

(1) قبس من نور القرآن، الصابوني(157/1).
(2) انظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم(190/2).
(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(454/1).
(4) تفسير المنار، محمد رشيد رضا(124/4).

الإيمان والكاذبين فيها.

قال ابن القيم: "وما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه وغلبته له وأذاه له في بعض الأحيان، أمرٌ لازمٌ لابد منه وهو كالحر الشديد والبرد الشديد والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضر واللذة عن الألم؛ لكان ذلك عالماً غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر، والألم واللذة، والنافع والضار، وإنما يكون تخليص هذا من هذا وتمييزه في دار أُخرى غير هذه الدار"(1) كما قال تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الانفال:37].

وهذه الآيات تبيّن أن طريق السعادة في الآخرة بالجهاد والصّبر، وفي الدّنيا بالثبات على المبدأ والالتفاف حول النّبي ﷺ في المعركة، والتضحية والإحسان، وملازمة الحق والعدل والإنصاف، ثم عابهم ﷻ على قلة صبرهم وانهزامهم في المعركة مذكراً إياهم بتمنيات الذين لم يحضروا وقعة بدر، وفاتهم فيها ما حازه من حضرها من الأجر والغنيمة.(2)

"والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز، وعملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير. إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية وتسليط الضوء على هذه المكنونات؛ تمهيداً لإخراج الدَّخَل والدَّغَل(3)، والأوشاب(4)، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق بلا غبش ولا ضباب، وكثيراً ما يجهل الإنسان نفسه ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيراً ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها وحقيقة ما استكن فيها من رواسب لا تظهر إلا بمثير".(5)

---

(1) إغاثة اللهفان، ابن القيم(189/2).

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري(208/1)، التفسير المنير، الزحيلي(107/4).

(3) **الدَّغَل:** بالتحريك الفساد مثل الدَّخَل والدَّغَل دَخَلٌ في الأَمر مُفْسِدٌ ومنه قول الحسن" اتَّخَذوا كتاب الله دَغَلاً أَي أَدغلوا في التفسير"، وأَدْغَلَ في الأَمر أَدخل فيه ما يُفْسِده ويخالفه، ورجل مُدْغِل مُخابٌّ مُفْسد، والدَّغَل الشجر الكثير الملتفُّ وقيل هو اشتباك النبت وكثرته، انظر: لسان العرب، ابن منظور(244/11)، مختار الصحاح، الرازي(218/1).

(4) **الأَوْشابُ:** الأَخْلاطُ من الناس والأَوْباشُ واحدُهم وِشْبٌ يقال بها أَوباشٌ من الناس وأَوْشابٌ من الناس وهم الضُّروبُ المُتَفَرِّقون، انظر: لسان العرب(797/1)، تاج العروس، الزبيدي(4397/1).

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب(455/1).

الحكمة من ابتلاء المؤمنين في غزوة أُحد:

أولاً: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ والتمحيص[1] يُعني التطهير من الذنوب والتنقية والتخليص من العيوب.

ثانياً: ﴿**وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ ليمحق الذين كفروا ويهلكهم، ويمحو آثارهم.[2]

وذكر ﷻ محق الكافرين بعد تمحيص المؤمنين؛ لما بينهما من المناسبة حيث إن في كل من التمحيص و المحق إزالة، إلا أن في **الأول:** إزالة الآثار وإزاحة الأوضار. وفي **الثاني** إزالة العين وإهلاك النفس.[3]

أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين، أي: تخليصهم من ذنوبهم؛ بالتوبة واستغفاره من الذنوب؛ التي أُديل بها عليهم العدو، وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم وعدوانهم إذا انتصروا، ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم دخول الجنة بغير جهادٍ ولا صبرٍ، وأن حكمته تأبى ذلك، فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائماً منصورين غالبين؛ لما جاهدهم أحد، ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم [4]، فقال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾[آل عمران:142].

ولذلك يصحح المولى ﷻ مفهوماً مغلوطاً يقع فيه كثير من الناس، وهو أن دخول الجنة يكون بدون جهاد، وصبر، أي: لا يحصل لكم دخول الجنة؛ حتى تُبْتَلَوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقارنة الأعداء[5]، وهل ظننتم أن دخول الجنة يكون بلا جهاد للنفس والهوى، والشهوات، والشياطين ويكون بلا صبر على فعل الطاعات، وعن ارتكاب المعاصي، وعلى التحمل عند الابتلاءات، وهذا مثل قوله ﷻ: ﴿**الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا: آمَنَّا، وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت: 1-2].

---

(1) **المحص:** وأَصله التخليصُ ومَحَصْت الذهَبَ بالنار إذا خَلَّصْته مما يَشُوبه، وتمحِيصُ الذنوب تطهيرُها، و التَّمْحِيصُ الابتلاء والاختبار. انظر: لسان العرب، ابن منظور(89/7)، مختار الصحاح، الرازي(246/1)، الصحاح في اللغة، الجوهري(193/3).

(2) انظر: معالم التنزيل، البغوي(112/2)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(220/4)، التحرير والتنوير، ابن عاشور(104/4).

(3) انظر: روح المعاني، الألوسي(235/3).

(4) انظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم(191/2).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(127/2).

هل حسبتم، يا معشر أصحاب محمدﷺ، وظننتم أن تدخلوا الجنة، وتنالوا كرامة ربكم، وشرف المنازل عنده؛ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، يقول: ولما يتبيَّن لعبادي المؤمنين، المجاهدُ منكم في سبيل الله، على ما أمره به.(1)

"إن دخول الجنة محفوف بالمكاره، فهو يحتاج إلى جهاد النفس على أداء حقوق الله وحقوق العباد، وجهادها لتبليغ دعوة الله تعالى، ويحتاج إلى جهاد النفس لأجل التخلص من الشح، وذلك ببذل المال في سبيل الله، ويحتاج إلى جهاد أعداء الله تعالى لإعلاء كلمة الله، ولتطهير الأرض من دنس المشركين، وهذا كله لا يكون إلا بالصبر؛ حتى يتميز الصابرون في جهادهم من غيرهم، فالصبر هو عدة المجاهد؛ ليصل إلى ما يريد، وفي غزوة أُحد كان عدم صبر الرماة، ومسارعتهم إلى جمع الغنائم، من أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة المسلمين"(2).

ثم قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾[آل عمران:142]، فقد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتتحرقون عليهم، وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونَكم فقاتلوا وصابروا، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا الله الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتموهم فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ)**(3) وهذا كلام ألقي إليهم بإجمال بالغ غاية الإيجاز، ليكون جامعا بين الموعظة، والمعذرة، والملام. والخطاب للأحياء، لا محالة، الذين لم يذوقوا الموت، ولم ينالوا الشهادة، والذين كان حظهم في ذلك اليوم هو الهزيمة، فقوله: كنتم تمنون الموت أُريد به تمني لقاء العدو يوم أُحد(4).

المطلب الثالث: التحذير من الانقلاب على الأعقاب

قال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: 144- 145]

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحد، وقُتِل من قُتل منهم، ولما أشاع أحد المشركين أن النبي ﷺ قد قُتل، بدأ الضعف يدبُ في نفوس بعض المسلمين؛ بسبب ذلك، أعطى الله المسلمين

(1) جامع البيان، الطبري(246/7).
(2) التفسير المنهجي، فضل عباس(145/1).
(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تتمنوا لقاء العدو، ح2861(1101/2).
(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(107/4).

درساً يفيدهم ومن بعدهم، إلى يوم الدين.

مما يستفاد من الآية الكريمة:-

وفي هذه الآية إشارة إلى أنه يجب على المسلمين وإن مات نبيهم أو قُتل، أن يذودوا عن شريعته وعن سنته، في حياته وبعد مماته، وفيها أيضاً دليلٌ على أن الكفر هو التأخر والرجعية والانقلاب على العقب، "وأية خسارة بعد خسارة الارتداد على الأعقاب من الإيمان إلى الكفر؟ وأي ربح يتحقق بعد خسارة الإيمان فالذي لا يتحرك إلى الأمام في هذا المجال لا بد أن يرتد إلى الوراء، والذي لا يكافح الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان لا بد أن يتخاذل ويتقهقر ويرتد على عقبيه إلى الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان! والذي لا تعصمه عقيدته ولا يعصمه إيمانه من طاعة الكافرين والاستماع إليهم والثقة بهم يتنازل -في الحقيقة- عن عقيدته وإيمانه منذ اللحظة الأولى"(1)، وأما الإسلام فإنه التقدم والمضي إلى الإمام فيما ينفع الإنسان في دينه ودنياه.

وقد كانت غزوة أُحد مقدمةً وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ، فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قُتل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه، وتوحيده، ويموتوا عليه أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب محمدﷺ، وهو حيٌ لا يموت، فلو مات محمدﷺ، أو قُتل، لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه، وما جاء به فكل نفسٍ ذائقة الموت، وما بُعث محمد ﷺ ليخلد، لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام، والتوحيد، فإن الموت لا بد منه سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي، ولهذا وَبَّخَهم على رجوع من رجع منهم عن دينه، حينما صرخ الشيطان أنَّ محمداً قد قُتل.(2)

والمقصود من الآية إثبات أنه لا منافاة بين الرسالة وبين القتل أو الموت؛ لأن هذه سنة الله الماضية في أنبيائه ورسله من قبل، فإنهم لابد أن يفارقوا الدنيا إما بموت وإما بقتل ظلماً، كما وقع من اليهود لعنهم الله حينما قتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام.

فمحمد ﷺ رسُولٌ كسائرِ الرُسُل قد بَلَّغ كما بلَّغوا، ولزمكم أيُّها المؤمنُون العمل بمُضَمَّن الرسالة، وليست حياته وبَقَاؤه بَين أظهركم شَرطاً في ذلك؛ لأنه يَمُوت؛ كما مَاتَتِ الرُسُل قبله، "فهل انقلب أتباع الرسل السابقين على أعقابهم حينما ماتت رسلهم، فكيف تكونون أقل شأناً من هذه الأمم، هَبْ أن ذلك قد حدث، فلماذا لا يبقى الخير الذي بلغه فيكم رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، الرجل الذي يكون قد صنع خيراً يموت بموته، أيكون قد صنع شيئاً، لا فالذي يريد أن يصنع خيراً فعليه أن يصنع خيراً يخلفه.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب(466/1).

(2) زاد المعاد، ابن القيم(224/3).

لذلك فالزعامات الفاشلة هي التي يكون الفرد فيها زعيماً، ثم يموت، ونبحث عن زعيم بعده فلا نجد ونتساءل: لماذا خنق الزعيم أصحابه وزملاءه؟ أكان خائفاً منهم، ونظل نتمنى أن يكون قد ربَّى الزعيم أناساً، فإذا ما ذهب نجد من يخلفه، فلا يوجد إنسان يضمن حياته"[1]

وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله ﷻ لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقْدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمرٍ من أمور الدين، بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم.[2]

فالأُمة مدعوة لأن تؤمن برسالة تحرك كل فرد فيها حركة ذاتية، ولا يحركها أو يلنها عن الحركة حياة شخص ولا موته، إن الرسالة ليست مرتبطة بوجود شخص، فكيف إذن يرتد عنها بعد موته من كان يؤمن بها في حياته؟ وقد خلت من قبله الرسل يحملون هذه الدعوة الضاربة في جذور الزمن العميقة في منابت التاريخ المبتدئة مع البشرية، تحدو لها بالهدى والسلام من مطالع الطريق، وهي أكبر من الداعية وأبقى من الداعية، فدعاتها يجيئون ويذهبون، وتبقى هي على الأجيال والقرون، ويبقى أتباعها موصولين بمصدرها الأول الذي أُرسل بها الرسل وهو باق ﷻ يتوجه إليه المؤمنون، وما يجوز أن ينقلب أحد منهم على عقبيه، ويرتد عن هدى الله. والله سبحانه حيٌ لا يموت. ثم توعَّد سبحانه المُنْقَلِب على عَقِبَيْهِ بقوله: ﴿**فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً**﴾ لأن المعنى فإنما يضرُّ نفسه، وإياها يوبق؛ بتعريضها للسخط والعذاب.[3]

وفي هذه الآية مسائل:

الأولى: "أنها نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم أُحد حين صاح الشيطان: قد قُتل محمد ﷺ".[4]

ذكر الواحدي في سبب نزولها: "لما كان يوم أُحد انهزم الناس، فقال بعض الناس قد أُصيب محمد فأعطوهم بأيديكم، فإنما هم إخوانكم. وقال بعضهم، إن كان محمد قد أُصيب، ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فأنزل الله ﷻ في ذلك:﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ**﴾ إلى ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾".[5]

(1) تفسير الشعراوي، الشعراوي (1214/1).
(2) انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي(150/1).
(3) انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي(253/1)، ظلال القرآن، سيد قطب(457/1).
(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(218/4).
(5) أسباب النزول، الواحدي(118/1).

الثانية: وهذه الآية أدلُ دليل على شجاعة الصديق وجراءته فإن الشجاعة والجرأة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبيﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه(1).

قال شيخ الإسلام: "فالشجاعة المطلوبة من الإمام لم تكن في أحدٍ بعد رسول الله ﷺ أكمل منها في أبي بكر".(2)

فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قَومها أبداً، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل، وإن فُقِدَ الرسول بموتٍ أو قتل.

وأكرمَ ﷻ نبيه ﷺ بوصفه بِاسمين مشتقين من اسمه، محمد(3) وأحمد(4)، وقد ورد اسمه ﷺ مُحمد في القرآن أربع مرات، وأحمد وردت مرة واحدة، وهذا من المواضع التي ذكر فيها اسم النبي ﷺ صراحة، سماه به جده عبد المطلب وقيل له، لم سميته محمداً وليس من أسماء آبائك؟ فقال: رجوت أن يحمده الناس. تقول العرب رجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة.

قال عباس بن مرداس السلمي:

يا خاتم النُبآء إنك مرسل ** بالخير كل هدى السبيل هُداكا

إن الإله بنى عليك محبة ** في خلقه ومحمدا سماكا(5)

ولا يأتي اسمه ﷺ إلا في حالة الخبر عنه بالرسالة: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ [الفتح:29] ﴿ **وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**﴾ [محمد:2]،﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ** ﴾ [الأحزاب:40] أو هنا﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾ لكن لم يناد النبي ﷺ باسمه في القرآن قط، إنما نودي بصفته؛ تعظيماً له ﷺ .

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(218/4).

(2) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية(62/8).

(3) ذكر السهيلي: أنه لم يسم به من العرب قبل ولادة رسول الله إلا ثلاثة: محمد بن سفيان، ومحمد بن أحيحة. ومحمد بن حمران. انظر: الروض الأنف، السهيلي(276/1).

(4) إذن فرسول الله ﷺ جمع له الله بين الأمرين؛ فهو محمد من الله وحامد لله؛ لأن رسول الله ﷺ جمع الله له بين مقامين: مقام الاصطفاء ومقام المجاهدة، فبالاصطفاء كان «محمداً» و «محمود» ، وبالمجاهدة كان حامداً و أحمد. انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(1213/1).

(5) الكامل في اللغة والأدب، المبرد(197/1).

فنودي بيا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، وهكذا، بخلاف غيره من إخوانه من الأنبياء فقد نودوا بأسمائهم: يا إبراهيم، يا نوح، يا موسى، يا عيسى، وهكذا، فهنا خبر عنه بصفة الرسالة.(1)

"وعن عائشة ﷺ أن رسول الله مات وأبو بكر بالسُّنْح(2)، فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله ﷺ قالت: وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت"(3) وقال: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزُّمر:30]

لقد كان موته ﷺ فتنة حقيقية للأمة الإسلامية، لكن لا شك أن الفتنة كانت أعظم ما يكون عند أصحابه، فليس من رأى كمن سمع، وليس من عاش وخالط كمن قرأ كتاباً، أو سمع محاضرةً، لا شك أن مصيبة الصحابة بفقد رسول الله كانت أعظم وأجَلّ من مصيبة أي مسلم في الحبيبﷺ.

ثم قال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ فمن كان عمله للدنيا فقط ، نال منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها، مع ما قسم له في الدنيا، وسنعطي الشاكرين من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة، بحسب شكرهم لنا، وعملهم لمرضاتنا وسيجزي اللّه الشاكرين نعمه الذين يثبتون على الإسلام؛ لأن الكلام في حق من ينتكسون أو ينقلبون على أعقابهم ويرتدون، والذين قاموا بطاعته، وقاتلوا عن دينه، واتّبعوا رسوله حيّاً وميّتاً، بأن يمنحهم من فضله ورحمته في الدّنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم.(4)

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(218/4)، التحرير والتنوير، ابن عاشور(110/4)، تفسير الشعراوي، الشعراوي(1214/1).

(2) السنح: بضم المهملة وسكون النون وبضمها أيضاً، وآخره حاء مهملة، يعني بالعالية مسكن زوجته. انظر: فتح الباري، ابن حجر(145/8).

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيﷺ لو كنت متخذا خليلاً، ح3467(1343/3).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي(110/4).

ثم أخبر تعالى أنه لا يموت أحدٌ إلا بقدر اللّه، وحتى يستوفي المدة التي حددها اللّه له، ولذا قال ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا**﴾[آل عمران:145].

أي أثبته اللّه مقروناً بأجل معين، ومؤقتاً بوقت لا يتقدم ولا يتأخر، فقد يظل الشجاع الذي تعرض لأهوال الحرب حيّاً، ويموت الجبان الذي تخبأ في مأواه[1]، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ**﴾ [فاطر:11]، وقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ**﴾ [الأنعام: 2]، وقوله: ﴿**فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [النحل: 61].

(1) التفسير المنير، الزحيلي(4/ 112).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (146 – 152)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: ثبات أتباع الأنبياء على الحق وصبرهم**
- **المطلب الثاني: عاقبة طاعة الكافرين الخسران المبين**
- **المطلب الثالث: الوعد الإلهي بالنصر والتمكين للمؤمنين**

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (146 - 152)

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ*وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ*فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ*سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ* وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 146-152]

تتابع الآيات في سرد أحداث تلك الموقعة الأليمة، التي انهزم فيها المسلمون بعد أن كان النصر حليفهم، لسبب بسيط هو مخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ فانتكسوا وانهزموا، ووقع فيهم ما وقع من القتل، فجاءت الآيات تشد من عزيمتهم، وتخفف عنهم الأحزان والأشجان.(1)

المطلب الأول: ثبات أتباع الأنبياء على الحق وصبرهم

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ(2) مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ* وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ*فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: 146-148]

جاءت الآيات الكريمة؛ تسلية للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أُحد، وما زال السياق في الحديث عن أحداث الغزوة، فذكر تعالى هنا ما هو في تمام عتابه للمؤمنين في الآيات السابقة، من عدم صبرهم وانهزامهم وتخليهم عن نبيهم ﷺ في وسط المعركة .

قال **تعالى:**﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ أي وكم من نبي من الأنبياء السابقين، قاتل معه جموع كثيرة، وهو كلام مبتدأ سيق توبيخاً للمنهزمين، حيث لم يستنوا بسنن الربانيين المجاهدين، من

(1) انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني(158/1).

(2) قرأ نافع وابن كثير والبصريان ﴿قُتِلَ﴾ بضم القاف وكسر التاء من غير ألف، وقرأ الباقون ﴿قَاتَلَ﴾ بفتح القاف والتاء وألف بينهما. انظر: النشر، ابن الجزري(242/2).

العلماء والأتقياء والصالحين، وكانوا هداة معلمين، فما وهنوا أي ما ضعفوا ولا ذلوا لعدوهم وما فروا عندما قُتل نبيهم، كما همّ بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون، فصبروا على القتال مع أنبيائهم متحملين آلام القتل والجرح؛ فأحبهم ربهم تعالى لذلك [1]، فإن الله ﷻ يحب الصابرين على الإسلام، المتمسكين به، المجاهدين أعداءه، من أجل نشره، وإعلاء مبادئه.

وقوله ﷻ: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي: جموع كثيرة ممن آمنوا به، واعتقدوا أنه رسول الله ﷺ، فما وهنوا، وما ضعفوا بعد قتل النبي، وما ذلوا لما أصابهم في الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل إعلاء دينه، وإنما صبروا على قتال الأعداء، ولم يهربوا مولين الأدبار، لأنهم يعتقدون أنهم يقاتلون في سبيل الله لا في سبيل نبيهم، فعليكم أيها المسلمون أن تعتبروا بأولئك، وتصبروا كما صبروا فإن دين الله واحد، وسنته في خلقه واحدة.[2]

لقد نفت الآيات عن المؤمنين الصادقين أتباع الأنبياء ثلاث صفات:

1- الوهن: والوَهَنُ الضَّعْف في العَمَل والأمر والعَظْم ونحوه. ورجُل واهِنٌ ضَعِيف لا بَطْشَ عنده، ومَوْهُون في جِسْمه[3]، وفسره قتادة هنا بالعجز، والزجاج: بالجبن أي ما وهنوا لقتل نبيهم، أو لقتل من قُتل منهم، والوهن من الأمور الخطيرة التي إذا أصيبت بها الأُمة تضعف لذلك ذكر سبحانه لا الناهية قبل الوهن مباشرة.[4]

2- الضعف: قال ابن فارس: "(ضعف) الضاد والعين والفاء أصلانِ متباينانِ، يدلُ أحدُهما على خلاف القُوَّة، ويدلُّ الآخر على أن يزاد الشَّيءُ مِثلَه"[5]، "والضُّعْف في الرأْي والعَقْل".[6]

3- الاستكانة: يعني وما ذلوا فيتخشَّعوا لعدوّهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم، ولكن مضوا قُدُمًا على بصائرهم ومنهاج نبيِّهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله واتباعاً لتنزيله ووحيه.[7]

---

(1) انظر: روح المعاني، الألوسي(253/3)، أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري(210/1).

(2)انظر: معالم التنزيل، البغوي(117/2)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا(230/4)، أيسر التفاسير، حومد(439/1).

(3)انظر: لسان العرب، ابن منظور(453/13)، المخصص، ابن سيده(198/1)، فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي(59/1).

(4) انظر: روح المعاني، الألوسي(255/3)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(230/4).

(5) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(362/3).

(6) الفروق في اللغة، ابو هلال العسكري(330/1)، المخصص، ابن سيده(198/1).

(7) انظر: جامع البيان، الطبري(269/7).

وبعد أن بين الله تعالى محاسن أهل الإيمان الفعلية، يبين محاسنهم القولية، حيث يقول ﷻ:﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:147-148] فلم يكن لهم من قولٍ، ولا على ألسنتهم من كلامٍ في كل حال إلا هذا الدعاء، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، مقدمين طلب المغفرة على ما هو الأهم بالنسبة لحالهم؛ لتكون الإجابة أقرب إليهم، لما في ذلك من الخضوع لله، والركون لجنابه سبحانه، إذ قالوا بعد ذلك داعين، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فهؤلاء المؤمنين كانوا من الصابرين على تحمل المكاره، والشدائد، وهؤلاء الصابرون هم الذين يحبهم الله تعالى؛ لأنهم صبروا على آلام القتال، ومشاق الطاعات والتكاليف التي كلفهم الله بها، إضافة إلى ذلك فإنهم كانوا يتوجهون بالدعاء إلى الله تعالى دائماً، **وخاصة في مواطن القتال بأن يهيئ لهم أموراً ثلاثة**.[1]

الأول: أن يغفر لهم سبحانه ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**﴾ فما كان لهم من قولٍ في تلك الحال التي اعتصموا فيها بالصبر والثبات، وعزة النفس، وشدة البأس إلا ذلك القول المنبئ عن قوة إيمانهم، وصدق إرادتهم، وهو الدعاء بأن يغفر الله لهم بجهادهم.[2]

الثاني: أن يثبت أقدامهم في المعركة، عند جهاد أعدائهم بتقوية قلوبهم، وإمدادهم بالمدد الروحاني من عنده ﷻ.[3]

الثالث: أن ينصرهم على القوم الكافرين.[4]

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله تعالى، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة.[5]

وجاء ترتيب هذه الأوصاف في نهاية الدقة بحسب حصولها في الخارج، فإن الوهن الذى هو خور في العزيمة إذا تمكن من النفس أنتج الضعف الذى هو لون من الاستسلام والفشل، فهم بعد أن سألوا اللهﷻ، مغفرة ذنوبهم وتثبيت أقدامهم في أرض المعركة؛ حتى لا يتزلزلوا فينهزموا، والنصرة على القوم الكافرين أعداء الله وأعدائهم، فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألوا، وهو ثواب

---

(1) انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس(150/1).

(2) انظر: المنار، محمد رشيد رضا(142/4).

(3) انظر: روح المعاني، الألوسي(257/3).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري(273/7).

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي(151/1).

الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهى رضوانه؛ الذى أحله عليهم وهم فى الجنة دار المتقين والأبرار،[1] هذا ما دلت عليه الآية في قوله ﷻ: ﴿ **فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:148] فجمع الله لهم خيري الدنيا والآخرة، ففي الدنيا النصر، وفي الآخرة المغفرة والجنة، هو جزاء حسن يناسب المحسنين، الذين يحبهم الله تعالى.

الحق ﷻ عندما يتكلم هنا عن الدنيا فهو لم يصفها بِحُسْن أو بشيء، فقط قال: ﴿**ثَوَابَ الدُّنْيَا**﴾ لكن عندما تكلم الحق ﷻ عن الآخرة فهو يقول: ﴿**وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ**﴾ وهذا هو الجمال الذي يجب أن يُعشق؛ لأن الدنيا مهما طالت فهي متاع وغرور وزخرف زائل، ومهما كنت مُنَعماً فيها، فأنت تنتظر حاجة من اثنتين، إما أن تزول عنك النعمة، وإما أن تزول أنت عن النعمة.[2]

ويختم الحق الآية بقوله: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ "وقد أحسنوا حين ناجوا ربهم بعدما أصابهم. إنهم سألوا المغفرة، وسألوا أن يغفر لهم إسرافهم في أمرهم، وأن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين؛ لأنهم رأوا أن قوتهم البشرية حين يتخلى عنهم مدد الله تصبح هباء لا وزن لها".[3]

وهكذا ينتهي هذا المطلب في الاستعراض؛ وقد تضمن تلك الحقائق الكبيرة في التصور الإسلامي، وقد أدى هذا الدور في تربية الجماعة المسلمة. وادخر هذا الرصيد للأُمة المسلمة في كل جيل، ثم يمضي السياق خطوة أُخرى في استعراض أحداث المعركة، واتخاذها محوراً للتعقيبات التي يتوخى بها تصحيح التصور وتربية الضمائر والتحذير من مزالق الطريق والتنبيه إلى ما يحيط بالجماعة المسلمة من الكيد وما يبيته لها أعداؤها المتربصون، كما يتضح هذا من خلال المطلب الثاني.[4]

المطلب الثاني: عاقبة طاعة الكافرين الخُسران المبين

قال ﷻ:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران: 149-151].

بعد البيان الإلهي لحال الربانيين، وجزائهم عند ربهم، يزجر الله المؤمنين، ويبعدهم، وينفرهم عن متابعة الكفار، الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، من الكفار والمنافقين واليهود الذين انتهزوا ما

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري(210/1)، التفسير الوسيط، طنطاوي(/760).
(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(463/1).
(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي(1229/1).
(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(463/1).

أصاب المسلمين من الهزيمة والقتل والقرح؛ ليثبطوا عزائمهم، ويخوفوهم عاقبة السير مع محمدﷺ، ويصوروا لهم مخاوف القتال، وعواقب الاشتباك مع مشركي قريش وحلفائهم، وجو الهزيمة هو أصلح الأجواء لخلخلة الصفوف، وإشاعة عدم الثقة في القيادة، والتشكيك في جدوى الإصرار على المعركة مع الأقوياء، وتزيين الانسحاب منها ومسالمة المنتصرين فيها! مع إثارة المواجع الشخصية والآلام الفردية، وتحويلها كلها لهدم كيان الجماعة، ثم لهدم كيان العقيدة، ثم للاستسلام للأقوياء الغالبين.[1]

في هذه الآيات يحذر الله الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا؛ وذلك لأن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة، حيث إنهم يحملوكم على الردة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام، فتنقلبوا خاسرين قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم، ولهذا يأمر ربنا تبارك وتعالى أهل دينه، وأتباع نبيه ﷺ بطاعته، وموالاته، والاستعانة به، والتوكل عليه.[2]

قوله تعالى: ﴿**بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**﴾[آل عمران: 150]. يعني ليس هؤلاء الكفار أنصاركم، حتى تطيعوهم، بل الله ناصركم، فأطيعوه، كما أنه خير الناصرين، المستحقين للطاعة، الجديرين بالاستعانة به دون غيره، وقوله ﴿**بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ** ﴾ إضراب[3] لإبطال ما تضمنه ما قبله.[4]

ثم بشر الله ﷻ المسلمين بأنه سيلقى الرعب في قلوب أعدائهم، الخوف منهم والذلة لهم، بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال.[5] حيث قال: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: 151].

وهذا من أعظم مظاهر النصرة من الله؛ حيث إنه من المعلوم أن الجيوش التى تفقد معنوياتها لا تستطيع القتال، بل لا تستطيع أن تستعمل سلاحها، وقد أعطى الله المسلمين ذلك، والنصر بالرعب مما اختص الله ﷻ به نبيه ﷺ[6].

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(465/1).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري(276/7)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(131/2).

(3) كلمة (**بل**) للإضراب الانتقالي، ذلك بأن الله تعالى يذكر أمراً، ثم يضرب عنه، أي يتركه وينتقل إلى بيان أمرٍ أعظم منه. انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس(154/1).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور(122/4).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(132/2).

(6) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، نخبة من العلماء(529/1).

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:(**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**)(1)، وذلك الرّعب للكافرين من المسلمين بسبب شركهم بالله تعالى، وكفرهم بآياته ورسله، من دون حجة لهم.

أيها المؤمنون سيلقي الله في قلوب الذين كفروا بربهم، وجحدوا نبوة محمد ﷺ ممن حاربكم بِأُحد الرعب، والجزع والهلع بما أشركوا بالله، يعني بسبب شركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان، التي لم أجعل لهم بها حجة، وهي السلطان التي أخبر ﷻ أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم. وهذا وعدٌ من الله ﷻ لأصحاب رسول الله ﷺ بالنصر على أعدائهم، ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته، ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم إليه، فقال ومأواهم النار يعني: ومرجعهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة، النار وبئس مثوى الظالمين، أي نجعل مأواهم النار سكناً ومثوىً لهم، وبئس مثوى الظالمين الكافرين.(2)

المطلب الثالث: الوعد الإلهي بالنصر والتمكين للمؤمنين

قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران: 152]

وهذا عود إلى التسلية على ما أصابهم، وإظهار لاستمرار عناية الله تعالى بالمؤمنين، ورمز إلى الثقة بوعدهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتبيين لسبب هزيمة المسلمين؛ تطميناً لهم بذكر نظيره ومماثله السابق، وأن الله لم يخلفهم وعده، ولكن سوء صنيعهم أوقعهم في المصيبة(3) كقوله: ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ [النساء: 79]

وما زلنا نتابع من خلال الآيات الكريمة، أحداث غزوة أُحد التي تناولت تفصيل وقائعها سورة آل عمران، فلقد انتصر المؤمنون في أكثر الغزوات، بسبب ثباتهم ويقينهم واعتمادهم على الله، وانهزموا في معركة أُحد بسبب عصيانهم ومخالفتهم لأمر الرسول ﷺ(4)، فجاء قوله ﷻ:﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾ بالنصر والظفر وحققه لكم أول النهار، وذلك أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء، فلما عصوا أعقبهم البلاء.

(1) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب، قول النبي ﷺ جعلت الأرض، ح328(128/1).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري(279/7).

(3) انظر: التحير والتنوير، ابن عاشور (127/4)

(4) انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني(158/1 وما بعدها).

قولهﷻ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ[1] بِإِذْنِهِ﴾ أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله وتغلبونهم بإذنه[2]
أخرج الواحدي في سبب نزولها عن محمد بن كعب قال: "لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أُحد، قال ناس من أصحابه، من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى النصر، فأنزل الله تعالى الآية ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾".[3]

قولهﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ أي جبنتم وضعفتم، والفَشْل[4] الوهن والإعياء، والتنازع التخالف، والمراد بالعصيان هنا عصيان أمر الرسول ﷺ وقد رتبت الفعال الثلاثة في الآية على حسب ترتيبها في الحصول، إذ كان الفشل، وهو ضجر بعض الرماة من ملازمة موقفهم للطمع في الغنيمة، قد حصل أولاً؛ فنشأ عنه التنازع بينهم في ملازمة الموقف، وفي اللحاق بالجيش للغنيمة، ونشأ عن التنازع تصميم معظمهم على مفارقة الموقف الذي أمرهم الرسول ﷺ بملازمته وعدم الانصراف منه، وهذا هو الأصل في ترتيب الأخبار في صناعة الإنشاء ما لم يقتض الحال العدول عنه.[5]

قوله ﷻ: ﴿مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ يعني من الغلبة التي كانت للمسلمين يوم أُحد أول أمرهم، وذلك حين صرع صاحب لواء المشركين. ثم بين سبب التنازع فقال:﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا﴾ وهم الرماة الذين تركوا أماكنهم، ولحقوا بالمسلمين من أجل الغنيمة، عندما رأوا هزيمة المشركين[6]. المشركين[6]. **قال ابن مسعود:** "ما شعرنا أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أُحد. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم الذين لزموا أمر رسول الله ﷺ وثبتوا حيث أمروا".[7]

قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي بعد أن استوليتم عليهم ردكم عنهم بالانهزام؛ ليمتحنكم، فيظهر المخلص الثابت من غيره. "**قال ابن إسحاق:** انتهى أنس بن النضر، عم أنس ابن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، قد ألقوا بأيديهم فقال: ما يخليكم؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا

---

(1) **والحَسُّ:** القتل الذريع وحَسَسْناهم أَي استَأْصلناهم قَتْلاً وحَسَّهم يَحُسُّهم حَسّاً قتلهم قتلاً ذريعاً مستأْصلاً انظر: لسان العرب، ابن منظور(49/6)، مختار الصحاح، الرازي(167/1).
(2) انظر: معالم التنزيل، البغوي(118/2)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(237/4).
(3) أسباب النزول، الواحدي(126/1).
(4) **الفشل:** "وفَشِلَ كفرِحَ فهو فَشِلٌ: كَسِلَ وضَعُفَ وتَراخَى وجَبُنَ "والفَشْل الجَبانُ المَرْعوبُ يُبْهَتُ عند الرّوع لا يُحْسِنُ قتالاً ولا شِراداً أي: هَرَباً القاموس المحيط، الفيروز آبادي(1346/1)، العين، الفراهيدي(462/6).
(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(4/ 128.
(6) انظر: التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(530/1).
(7) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 152/1.

على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل".[1]

وعن أنس بن النضر قال: (غبت عن أول قتال رسول الله ﷺ لئن أشهدني الله مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أجد فلقي يوم أُحد، فهزم الناس، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني المسلمين – وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال: أين يا سعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أُحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه بشامة، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم).[2]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولقد عفا عنكم بفضله؛ لما علم من ندمكم فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة، والخطاب لجميع المنهزمين.[3]

والله سبحانه صاحب الفضل على المؤمنين، ومن ذلك الفضل، عدم تسليطه الكافرين عليهم ليستأصلوهم، ومنع الكافرين من متابعة القتال؛ حتى لا ينهوا أمر المسلمين، ومن ذلك الفضل أيضاً العفو عنهم، وقبول التوبة منهم. **قال أبو جعفر الطبري**: "يعني بقوله جل ثناؤه: **﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾** أيها المخالفون أمر رسول الله ﷺ والتاركون طاعته، فيما تقدم به إليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه عنكم، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم، وصرف وجوهكم عنهم، إذ لم يستأصل جمعكم".[4]

---

(1) السيرة النبوية، ابن اسحاق، 116/1، حياة الصحابة، للكاندهلوي(50/2).

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب، غزوة أُحد، ح3822(1487/4).

(3) انظر: فتح القدير، الشوكاني(36/2).

(4) جامع البيان، الطبري(298/7).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران

من الآية (153–170)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (153– 158)

- **المبحث الثاني:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (159– 168)

- **المبحث الثالث:**

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (169–170)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (153 –158)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: أهمية السكينة والأمن في ثبات المؤمنين**

- **المطلب الثاني: وسوسة الشيطان وإغواؤه من أسباب الهزيمة في غزوة أُحد**

- **المطلب الثالث: دور المنافقين في تثبيط المؤمنين**

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (153 - 158)

قال ﷻ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[آل عمران:153-158].

تواصل الآيات الكريمة الامتنان على المؤمنين بالعفو رغم عظم الذنب، وفداحة العواقب، وفي هذه الآيات الكريمة ما زال السِّياق فيها عن غزوة أُحد، والأحداث التي وقعت فيها وصاحبَتها، وما حصل للمؤمنين من مُخالفةٍ لِأمر النّبي ﷺ، نتَج عنه هزيمتهم. (1)

وجاءت هذه الآيات لتُقرر وتعرض كثيراً من الدروس والعبر المتعلّقة بهذه السُّورة إثرَ هذه الغزوة.

المطلب الأول: أهمية السكينة والأمن في ثبات المؤمنين

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ *ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:153-154].

(1) انظر: التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(530/1).

الثبات على الحق، وعلى العمل الصالح، والثبات في ميدان المعركة، هو أحد صور الثبات التي يربي الإسلام المسلمين عليها.

وتصور الآيات هنا الحال التي كان عليها المؤمنون بعد حصول الانكسار والهزيمة، وتذكرهم حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم الله ﷻ على ذلك، كي يعمق وقع المشهد في نفوسهم وحسهم؛ ليثير الخجل والحياء من الفعل ومقدماته التي نشأ عنها من الضعف والتنازع والعصيان، والعبارة ترسم صورة حركتهم الحسية، وحركتهم النفسية، في ألفاظ قلائل، فهم مصعدون في الجبل هرباً، في اضطراب ورعب، لا يلتفت أحد منهم إلى أحد! ولا يجيب أحد منهم داعي أحد! والرسول ﷺ يدعوهم، ليطمئنهم على حياته بعد ما صاح صائح: إن محمداً قد قُتل، فزلزل ذلك قلوبهم وأقدامهم، إنه مشهد كامل في ألفاظ قلائل.(1)

ولكن الله ﷻ حفظ نَبِيَّه ﷺ وثبت قلوب المؤمنين، وتلك من أعظم النعم، وأكبر الآيات والمعجزات التي زخرت بها هذه الغزوة! حيث يقول ﷻ ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ**(2) **وَلا تَلْوُونَ**(3) **عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ**﴾[آل عمران:153]. في هذا الوقت الذى فررتم مصعدين تهرولون بسرعة في بطن الوادي هاربين من المعركة، بعضكم دخل المدينة، وبعضكم انطلق إلى الجبل، وخلفتم رسول الله ﷺ، إلا من ثبت معه منكم، وهم قليل.(4)

قال السدي: "لما اشتد المشركون على المسلمين بأُحد فهزموهم، دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة، فقاموا عليها، فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس: **(إليّ عباد اللّه، إليّ عباد اللّه)**".(5)

عن البراء بن عازب ﵁ قال: (جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أُحد عبد الله بن جبير، وأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أُخراهم، فقال لهم ﷺ: **(إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا**

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (470/1).

(2) صَعِدَ المكان وفيه صُعُوداً وأَصْعَدَ وصَعَّدَ ارتقى مشْرفاً، وقرأَ الحَسَنُ:﴿**إِذْ تَصْعَدُونَ**﴾ جَعَل الصُّعُودَ في الجَبَلِ كالصُّعُودِ في السُّلَّمِ، **والفرق بين الاصعاد والصعود**: أن الاصعاد في مستوى الارض، والصعود في الارتفاع يقال أصعدنا من الكوفة إلى خراسان، وصعدنا في الدرجة والسلم والجبل. انظر: لسان العرب، ابن منظور (251/3)، والفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (36/1)، تاج العروس، الزبيدي(2076/1).

(3) يقال لويت عليه: عطفت وانتظرت، ومر لا يلوي على أحد لا يقيم عليه ولا ينتظره. انظر: أساس البلاغة، الزمخشري(577/1)

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي(152/1)، أيسر التفاسير، الجزائري(213/1)، التفسير الوسيط، طنطاوي(769/1).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (137/2).

مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم)".[1]

وكان الجزاء على هذا الفعل منكم غمَّاً أصبتم به، وأذاقكم الله إياه بعد غم من الجراح، والقتل، وفوت الغنيمة، وضياع النصر وكل ذلك الغم والهزيمة؛ بسبب عدم خلوص النية من البعض فيكم.

ومعنى قوله ﷻ: ﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ**﴾، بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم، والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ؛ بمعصيتكم ربَّكم، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ، غمَّ ظنَّكم أن نبيكمﷺ قد قتل، وميل العدوّ عليكم بعد فلولكم منهم، وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثواباً، إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم.[2]

فالغمّ الأوَّل: بسبب الهزيمة وذهاب النَّصر، وذهاب المغنم، ثم جاءهم **الغمّ الآخر:** أشدّ وهُو خَوف أنَّ النّبيﷺ قد قُتِل، وسماعهم أنَّ النبي ﷺ قد قُتِل، فجاء هذا الغمّ ليُنسيِهُم كل شيء، لِيُنسيهم الحُزن على فوات النّصر، والحُزن على فوات المغنم، ثم لـمّا علموا أنّ النّبيﷺ حيّ وسليم ومُعَافى، زال عنهم الألم كُلَّه، ألم الهزيمة، وألم الجراح التّي أصابتهم، وألم فوات الغنيمة[3].

ومن الآيات العظيمة في غزوة أُحد أن الملائكة حضروها، ودافعوا عن النبيﷺ ، كما روى الشيخان من حديث سعد ﷺ قال: **(رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشدِّ القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد).**[4]

ثم بين ﷻ الحكمة فيما حدث، في قوله ﷻ: ﴿**لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ**﴾ وهي تدريب المسلمين على تحمل المصائب، وعدم الجزع لها، لكي لا يحزنوا على ما فاتهم من الغنيمة، والمنافع وما أصابهم من القتل والجراح، فهو أنساهم بمصيبة صغيرة مصيبة كبيرة.[5]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ** ﴾،ح 3840(4/ 1492).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري(303/7).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(233/4)،المحرر الوجيز : ابن عطيه(27/2)، روح المعاني: الألوسي(269/2)..

(4)صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾،ح3828(1489/4).

(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(251/3).

ثم رهبهم سبحانه من الوقوع في المعصية بعد ذلك، ورغبهم في طاعته بهذا الختام الرائع للآية الكريمة حيث قال ﷻ: ﴿**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ**﴾ لا يخفى عليه شيء من دقائقه وأسبابه، ولا من نيتكم فيه وعاقبته فيكم، ومن بلاغة هذه الجملة في هذا الموضع، أن كل واحد من المخاطبين يتذكر عند سماعها أو تلاوتها، أن الله ﷻ مطلع على عمله، عالمٌ بنيته وخواطره فيحاسب نفسه، فإن كان مقصراً تاب من ذنبه وإن كان مشمراً ازداد نشاطاً؛ خوف الوقوع في التقصير.[1] ولكن رحمة الله بعباده المؤمنين الصادقين لم تتخل عنهم، في هذا الوقت العصيب حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً**﴾[آل عمران:154]، ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحساناً وتثبيتاً لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس.

وفي هذه الآية يمتن اللّه تعالى على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة، وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم[2]، عن أبي طلحة قال:(**غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه**)[3] وبلغ ذلك الأمن إلى حيث غشيهم النعاس، فإن النوم لا يجيء مع الخوف، بل يدل على زوال الخوف بالكلية، وإنَّ استغراق أي جماعة مجاهدة مرابطة في النوم، ووصولهم إلى أمن وسكينة روحية وقلبية، وإلى طمأنينة كاملة، إنما هو لطف من الله ﷻ وفضل منه لهذه الجماعة، وهو دليل ثقة من الجماعة، وتسليم وتفويض واعتماد وتوكل منها على الله تعالى.

"وكان **مقتضى الظاهر أن يقدّم النعاس ويؤخّر أمنة**؛ لأنّ أمنة بمنزلة الصفة أو المفعول لأجله فحقّه التقديم على المفعول، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**﴾ [الأنفال:11] ولكنّه قدّم الأمنة هنا تشريفاً لشأنها؛ لأنَّها جعلت كالمنزل من الله لنصرهم، فهو كالسكينة، فناسب أن يجعل هو مفعول أنزل، ويجعل النعاس بدلاً منه".[4]

قوله تعالى: ﴿**يَغْشى**[5]**طائِفَةً مِنْكُمْ**﴾ أي: أنزل الله على طائفة منكم الأمن، والسكينة، والثبات؛ حتى أخذكم النعاس، الذي يمسح عن نفوسكم الهم والغم الذي أصابها بسبب هذه الهزيمة، وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا(152/4).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(144/2).

(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب آل عمران، ح 4286(1662/4).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور(252/3).

(5) قرأ حمزة والكسائي وخلف (تغشى) بالتأنيث، وقرأ الباقون (يغشى) بالتذكير. انظر: النشر، ابن الجزري، (242/2).

الله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين، فأكرمهم الله ﷻ بآيات عظيمة، وخص نبيه ﷺ بمعجزات باهرة، كانَت مُعِيناً للمؤمنين على ثباتهم رغم هزيمتهم، ومقويةً لهم في محْنَتِهم رغم قلتهم وكثرة عدوهم.

وقوله ﷻ: ﴿**وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ**﴾[آل عمران:154]، وهناك طائفة منافقة لا يهمهم إلا أنفسهم، ونجاتها، فلا يهتمون بالدين، ولا برسول الله ﷺ، ولا بالجماعة المسلمة، وهؤلاء الذين تهمهم أنفسهم وتصبح محور تفكيرهم، وتقديرهم، ومحور اهتمامهم وانشغالهم، فهؤلاء لم تكتمل في نفوسهم حقيقة الإيمان، ومن هؤلاء كانت تلك الطائفة الأُخرى التي يتحدث عنها القرآن في هذا الموضع، طائفة الذين شغلتهم أنفسهم وأهمتهم، ويرون أنهم دُفعوا إلى المعركة دفعاً ولا إرادة لهم فيها؛ وهم مع ذلك يتعرضون للبلاء المرير، ويؤدون الثمن فادحاً من القتل والقرح والألم.(1)

هؤلاء لا يغشاهم النعاس من القلق، والخوف، والفزع؛ لأنهم يظنون بالله غير الحق كما تظن الجاهلية، حيث يَشُكون في نصر الله لرسولهﷺ، ولجنده، ولدينه. ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أن الله مضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء؛ لذلك جاء قوله ﷻ ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ**﴾[آل عمران:154]، فهم يقولون بسبب ضعف عزيمتهم، وقلة يقينهم هل لنا في النصر الذي وعدنا به حظ ونصيب، بعد هذه الهزيمة، ويتساءلون ﴿**يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[آل عمران:154]، وفاتهم الإيمان بأن كل شيء بيده سبحانه من نصر أو هزيمة ﴿**قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ**(2) **لِلَّهِ**﴾ وعلى هذا يجب التسليم لأمره، والرضا بقضائه، والمسارعة في مرضاتهﷻ.

ثم يكشف الله ﷻ خبايا ما يدور بينهم ﴿**يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا**﴾[آل عمران:154]، ويبين أنهم يقولون فيما بينهم وبين أنفسهم، خوفاً ورهبة، لو كان الأمر كما قال محمد ﷺ لما غلبنا قط، وما قُتل منا من قُتل في هذه المعركة، ولذلك فقل لهم يا محمد: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾[آل عمران:154]، فقدر الله ينفذ لا محالة، ولو قعدتم في بيوتكم، لبرز وخرج من هذه البيوت، من كتب عليه القتل، إلى مصارعهم وأماكن موتهم، لا يمنعهم من قدر الله مانع وقد حدث في أُحد ما حدث، لفوائد كثيرة للمسلمين؛ وذلك ليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(471/1).

(2) قرأ البصريان ﴿**كُلُّهُ**﴾ بالرفع، والباقون بالنصب انظر: النشر، ابن الجزري،(242/2).

الشيطان. وهذا من التربية للمسلمين بالشدائد، وهو سبحانه عليم بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء مما فيها، وإنما يبتلي بالشدائد والمحن ليظهر للناس المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب[1] "وقد سأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يُمَّكن أو يُبتلى، فقال الشافعي لا يُمكن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم".[2]

المطلب الثاني: وسوسة الشيطان وإغواؤه من أسباب الهزيمة في غزوة أُحد

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[آل عمران: 155]

يبين الله ﷻ السبب في هزيمة من هزم يوم أُحد، وجاءت الآيات الكريمة "استئنافاً لبيان سبب الهزيمة الخفي، وهي استزلال الشيطان إياهم، فبين الله ﷻ السبب بقوله سبحانه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ**﴾ أي انهزموا منكم يا معشر المسلمين، ﴿**يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أُحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين[3] لأنهم خالفوا أمر النبي ﷺ، وتركوا مواقعهم، كان ذلك منهم بسبب إغواء الشيطان لهم، ولم يكن عناداً منهم، ولا فراراً من الزحف رغبة في الدنيا، إنما هو الضعف البشري، وإغواء الشيطان.

والآية تدل على أن المعاصي لا تُنسب إلى الله، فإنه تعالى نسبها في هذه الآية إلى الشيطان[4]، وهو كقوله تعالى عن موسى عليه السلام ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ [القصص: 15] وقول يوسف عليه السلام: ﴿**مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**﴾[يوسف: 100] وقول صاحب موسى عليه السلام: ﴿**وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ**﴾ [الكهف: 63]، وورد مثل ذلك في ثلاثة وعشرين موضعاً.[5]

مناسبة الآية لما قبلها:

"**ومناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها** أنه تعالى بعد أن بين لهم مرتبة حق اليقين بقوله ﴿ **قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ** ﴾ انتقل بهم إلى مرتبة الأسباب الظاهرة، فبين لهم أنه إن كان للأسباب تأثير، فإن سبب مصيبتهم هي أفعالهم التي أملاها الشيطان عليهم وأضلهم، فلم يتفطنوا إلى السبب، ومن شأن هذا الضلال أن يحول بين المخطئ وبين تدارك خطئه، ولا يخفى ما في الجمع

---

(1) انظر: مدارك التنزيل، النسفي(190/1)، البحر المحيط، أبو حيان(430/3).

(2) الفوائد، ابن قيم الجوزية(208/1).

(3) انظر: معالم التنزيل، البغوي (122/2).

(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (431/4).

(5) انظر: حجج القرآن، ابو الفضائل الرازي (33/1).

بين هذه الأغراض من العلم الصحيح، وتزكية النفوس، وتحبيب الله ورسوله للمؤمنين، وتعظيمه عندهم، وتنفيرهم من الشيطان، والأفعال الذميمة، ومعصية الرسول، وتسفيه أحلام المشركين والمنافقين.(1)

وقوله تعالى: ﴿**بِبَعْضِ ما كَسَبُوا**﴾ يوم أُحد من ذنوبهم استزلهم الشيطان وطلب منهم الزلل ودعاهم إليه، وهؤلاء الذين انهزموا يوم أُحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً، فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا، وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأنّ الذنب يجرّ إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة.(2)

فهذه الآية تُشير إلى مسألة مُهمة وَهي شُؤم المعاصي وخطورتها، فهذا الفَشَل الذِّي أَصاب المؤمنين في غزوة أُحد وأَنتج قتلى وجِراحاً وقِراحاً وهزيمةً، هذا كان سببه أنَّ الشَّيطان اِستطاع أن يَستَّزِل بعض المُؤمنين ببعض ذُنُوبهم التِّي كسبوها، فهذه الذُّنوب التي كسبوها كانت مدخلاً للشَّيطان أن يستَزِلَّه، وكأن الشيطان لا يجترئ على أن يستزل أحداً ممن آمن، إلا إذا صادف فيه تحللاً من ناحية، لكن الذي ليس عنده تحلل لا يقوى عليه الشيطان، ساعة يأتي الإنسان ويعطي لنفسه شهوة من الشهوات فالشيطان يرقمه ويضع عليه علامة ويقول هذا ضعيف، هذا نقدر أن نستزله، ولذلك فالنفس هي مطية الشيطان إلى الذنوب، وفي الحديث: **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)**(3)، وعندما يرى الشيطان واحداً تغلبه نفسه في حاجة فالشيطان يقول: هذا فيه أمل، إذن فالشيطان لا يستزل إلا الضعيف، ولذلك فالذي يكون ربه على ذكر منه دائماً لا يجترئ عليه الشيطان أبداً.(4)

قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ أي: غفورٌ للمذنبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصائب المكفرة، ﴿**حَلِيمٌ**﴾ لا يعاجل من عصاه، بل يستأني به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه، ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب.(5)

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (140/4).

(2) انظر: الكشاف، الزمخشري(339/1).

(3) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، ح3107(1195/3).

(4) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي(1244/1).

(5) انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي (153/1).

المطلب الثالث: دور المنافقين في تثبيط المؤمنين.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ**﴾[آل عمران:156- 158].

ينهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالمنافقين القائلين لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه وجاءت الآيات الكريمة تدعو المؤمنين إلى الشجاعة والاستبسال؛ ليثبتوا على إيمانهم أمام الأعداء، وتحذرهم من سلوك طريق المنافقين في التباطؤ والتخاذل عن الجهاد، وموقفهم المخزي الفاضح في تلك الغزوة، بتثبيط عزائم المؤمنين، وتآمرهم على الدعوة الإسلامية.(1)

فلا تتحسروا أيها المؤمنون على من استشهد منكم واصبروا فإن الموت بيد الله، ولا تكونوا كهؤلاء الكفار، الذين يقولون عن إخوانهم في النسب أو في السلوك أو في الاعتقاد؛ حينما يسافرون للتجارة، أو للغزو والحروب ثم يموتون خلال ذلك يقولون عنهم ﴿**لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا**﴾ ما ماتوا في السفر، ولا قتلوا في الغزو، وهذا هو الذي نهى عنه النبي ﷺ حيث قال: (**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**)(2) أي تفتح عليك الحزن".(3)

لقد وُجد هذا الاعتقاد الفاسد، في نفوسهم، ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم، ﴿**لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ فرد الله قولهم الباطل، وبين أن الأمر بيده ﷻ، ولا يحيا أحد ولا يموت في موعده المقدر إلا بمشيئته سبحانه، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص إلا بقضائه وقدره، فقال ﷻ ﴿**وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**(4) **بَصِيرٌ**﴾.

وبعد توضيح هذا الاعتقاد الفاسد في الموت في سبيل الله، وبيان فضل الموت في سبيل الله تعالى، والجزاء العظيم عليه، يقولﷻ: ﴿**وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾(5) [آل عمران:157].

---

(1) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية(228/1)، قبس من نور القرآن، الصابوني(163/1).

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة، ح 2664(2052/4).

(3) انظر: إقامة الدليل على إبطال التحليل، ابن تيمية (362/4)، الكلم الطيب، ابن تيمية (124/1).

(4) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف (يعملون) بالغيب، وقرأ الباقون (تعملون) بالخطاب. انظر: النشر، ابن الجزري (242/2).

(5) قرأ حفص (يجمعون) بالغيب، وقرأ الباقون (تجمعون) بالخطاب. انظر: النشر، ابن الجزري(242/2).

إن الموت في سبيل الله وسيلة وطريق إلى نوال رحمة الله، وعفوه، ورضوانه، وذلك الجزاء خير من البقاء في الدنيا، وجمع حطامها الفاني، وإنكم أيها المؤمنون إن جاهدتم في سبيل الله تعالى وقُتلتم، أو مُتم على فراشكم بعد أن أديتم رسالتكم في الحياة، وأطعتم الله تعالى فيما أمركم به ونهاكم عنه، ستنالون مغفرة من الله ﷻ لذنوبكم، ورحمة الله ﷻ الواسعة، وهذا خيرٌ لكم مما تجمعونه في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذي من أجله تتثاقلون عن الجهاد في سبيل الله، وتتأخرون عن لقاء العدو، فرحمة الله ومغفرته باقيتان تنفعان الإنسان في دنياه وآخرته، وما يجمعه الإنسان من عرض الدنيا زائل ذاهب.[1]

ويخبر الله ﷻ أن من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله ﷻ حيث يقول: **﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ﴾** أي: ترجعون إليه، وتحشرون عنده؛ فيجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، و إن شراً فشر.

وفي الآية الأولى جاء بتقديم القتل على الموت قال تعالى: **﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾** وجاء في هذه الآية بتقديم الموت على القتل قال ﷻ: **﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله﴾** فقدم القتل على الموت في الآية الأولى؛ لأنها جاءت في المقاتلين، والغالب في شأنهم أن من يلقى الله منهم ويفضي إلى ربه يكون بسبب القتل أكثر مما يكون بسبب الموت حتف أنفه، أما هذه الآية فقد جاءت لبيان أن مصير جميع العباد ومرجعهم يوم القيامة يكون إلى الله ﷻ وأن أكثرهم تزهق نفسه وتخرج روحه من بدنه بسبب الموت، فلذا قدم الموت هنا على القتل. إذن فكل كلمة وجملة جاءت مناسبة لموقعها. إنه قول الحكيم الخبير.[2]

---

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، نخبة من العلماء(534/1)، التفسير المنهجي، فضل عباس(163/1).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور(143/4)، تفسير الشعراوي، الشعراوي(1248/1).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (159– 168)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: العفو ولين الجانب والشورى من صفات القيادة الرشيدة**
- **المطلب الثاني: إن ينصركم الله فلا غالب لكم**
- **المطلب الثالث: رضوان الله ورحمته بعباده وارساله محمدﷺ من نعم الله عليهم**
- **المطلب الرابع: ما أصاب الناس من مصائب فهي بإذن الله**
- **المطلب الخامس: المنافقون أقرب للكفر منهم الإيمان**

المبحث الثاني
المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (159- 168)

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 159- 168]

والمناسبة بين الآيات واضحة، فهي ما تزال تتحدث عن غزوة أُحد وآثارها، فبعد أن عفا اللّه عمَّا بَدرَ من المسلمين في أُحد، وحذَّرهم من التأثر بأقوال المنافقين، أعقبه بعفو القائد المصطفىﷺ، الذي ساءه هذا الموقف وما أدى إليه من الجراح والآلام، فقد عاملهم بالحلم واللين الخارق للعادة، وخاطبهم باللطف وحسن المعاشرة، بل استشارهم في مستقبل الأحداث ومصالح الدنيا، لما عرف عنه من سمو الأخلاق وحكمة القيادة، فهو رحمةً للعالمين، ووصفه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].(1)

المطلب الأول: العفو ولين الجانب والشورى من صفات القيادة الرشيدة

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:159].

ما زال سياق الآيات الكريمة يتحدث حول الآداب والنتائج المترتبة على غزوة أُحد، ففي هذه

(1) انظر: التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(534/1)، التفسير المنير، الزحيلي (139/4).

الآية يخبر تعالى عما وهب رسوله ﷺ من الكمال الخُلقي الذى هو قوام الأمر فيقول: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ أي فبرحمة من عندنا رحمناهم بها لنت لهم، ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ**﴾ أي جافياً قاسى القلب غليظه ﴿**لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ أي تفرقوا عنك، وحرموا بذلك سعادة الدارين.[1]

فالخطاب موجه للنبي ﷺ بأن يعفو عن مسيئهم، ويستغفر لمذنبهم، ويشاور ذوى الرأي منهم، ونلاحظ هنا حسن التنسيق، والترتيب البديع في هذه الأوامر، ذلك أن الله ﷻ **أمر أولاً:** بالعفو عنهم، وهذه خاصة بالرسول ﷺ فيما يتعلق بحقوقه ﷺ عليهم، كما عفا الله عنهم[2] فإذا انتهوا إلى هذا المقام، **أمرَ ثانياً:** أن يستغفر لهم، لتنزاح عنهم التبعات وأثقال الذنوب، وهذه خاصة بحقوقه تعالى إتماماً للشفقة عليهم وإكمالاً للبرّ بهم [3] فلمّا صاروا إلى هذا الحال، **أمرَ ثالثاً:** أن يشاورهم فيما يصح أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم، وتطييباً لنفوسهم، واستجلاباً لمودّتهم، وتعليماً لأُمته من بعده؛ ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم.[4]

"والآيات الكريمة تتحدث عن أخلاق النبوة العطرة وتشيد بالقيادة الحكيمة فمع مخالفة بعض الصحابة لأوامر الرسول ﷺ مما أدى الى النكسة في غزوة أُحد، فقد وسعهم ﷺ بخلقه الكريم وقلبه الرحيم، ولم يخاطبهم بالشدة والغلظة، وإنما خاطبهم باللطف واللين، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحدت تحت قيادته، يقول تعالى مثنياً عليه وعلى أخلاقه الكريمة"[5] فبسبب رحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت ليناً مع أتباعك في كل أحوالك، ولكن بدون إفراط أو تفريط، فقد وقفت من أخطائهم التي وقعوا فيها في غزوة أُحد موقف القائد الحكيم.

وهكذا القائد الحكيم لا يكثر من لوم جنده على أخطائهم الماضية، لأن كثرة اللوم والتعنيف قد تولد اليأس، وإنما يتلفت إلى الماضي ليأخذ منه العبرة والعظة لحاضره ومستقبله. وينطوي في الآية علاج قوي محبب وشاف لثورة النفوس وهياج الأفكار وغلبة العواطف مما كان من آثار يوم أحد. ومما لا شك فيه أن هذا العلاج قد آتى نفعه فهدّأ النفوس والأفكار وطمأنها بالنسبة للموقف الحاضر والمواقف المستقبلة معاً.

---

(1) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري(218/1).

(2) انظر: روح المعاني، الألوسي(288/3)، تفسير الكريم الرحمن، السعدي، (154/1)، تفسير الشعراوي، الشعراوي(1252/1).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود(1/ 482)، مدارك التنزيل، النسفي(192/1).

(4) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي(405/1)، فتح القدير، الشوكاني(41/2)، التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء(534/1).

(5) قبس من نور القرآن، الصابوني(168/1).

حيث إن الشدة في غير موضعها تفرق ولا تجمع، وتُضعف ولا تُقوي.[1] ولذا قال ﷻ:﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾، فالأخلاق الحسنة من الرئيس تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره. بل إن رحمته ﷺ شملت في هذه المعركة الكافرين والذين آذوه وأرادوا قتله، فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه بعد إصابته يوم أُحد[2]: (**كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**).[3]

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران:159].

من أعظم دروس هذه الغزوة الدرس العملي من النبي ﷺ لأمر الشورى ذلك التطبيق الرائع الرفيع المستوى، فالشورى[4] أمر إلهي صريح موجّهٌ للنبي الكريم ﷺ، على عصمته بالوحي، وكمال شمائله في التخلّق بأخلاق القرآن الكريم؛ ليأتمر به ويقتدي به صحابته ومن تبعهم بإحسان، "وبهذا النص الجازم ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله ﷺ هو الذي يتولاه. وهو نص قاطع لا يدع للأُمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه".[5]

وتُعرَّف الشورى بأنها طلب الشيء، لذا قال عنها بعض العلماء أنها (الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد صاحبه)[6]، والشورى الأمر الذي يتشاور فيه [7] "ومن هذا المعنى يطلق على

---

(1) انظر: التفسير الحديث، محمد عزة دروزة(253/7)، التفسير الوسيط، طنطاوي(782/1).

(2) تفسير الكريم الرحمن، السعدي(240/1).

(3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ح1791(1417/3).

(4) **الشورى لغة:** (الشين والواو والراء أصلان مطّردان، الأول منهما: إبداء الشيء، وإظهاره، وعرضه، والآخر: أخذ الشيء. يقال شَارَ العسل يشُوره شوراً وشيارة ومَشاراً ومشارة: استخرجه من الْوَقْبة واجتباه. انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(226/3)، لسان العرب، ابن منظور (379/2-381)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(270/1)، القاموس المحيط، الفيروز أبادي(540/1).

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب(477/1).

(6) أحكام القرآن، ابن العربي(298/1).

(7) انظر: روح المعاني، الألوسي(46/25)، تذكرة الأريب تفسير الغريب، جمال الدين بن محمد الجوزي،(15/1).

الموضع الذي تم فيه التشاور مجلس الشورى".[1]

وفي هذه الآيات يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يشاور أصحابه، وهو أمر للوجوب. **كما قال ابن تيمية:** "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ"، **وأما ابن جماعة** فقد أكد أن الشورى كانت من عادة الأنبياء.[2]

والشورى صفة من صفات المسلمين: **﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [الشورى:38]، فقد رفع القرآن الكريم منزلة الشورى حين قرنها بالصلاة والزكاة من أركان الإسلام الخمسة، فوضعها بينهما، وذلك في وصف المؤمنين المستجيبين لداعي الحق ﷻ بأنهم يجعلون أمرهم كله، فيما لم ينزل به وحي، شورى بينهم كلهم بدون حجر أو إقصاء، فإذا شاورت، ووصلت إلى قرار، وقطعت الرأي على الأخذ به، فتوكل على الله في تنفيذه.

إن في الاستشارة، تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول، فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ، وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** فكيف بغيره.[3]

إنّ الشورى، أو أخذ الرأي في الإسلام، قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام العظيم، وسمة من سمات الحكم الإسلامي، وهي تمثل ركناً أساسياً من سلطان الأمة الإسلامية، فالحاكم في الإسلام وكيل عن الأمة في مباشرة السلطان والسيادة، وفي هذا عصمة له من الانحراف، والطغيان، والميل عن جادة الحق.

فالقائد المسلم يجعل من هذه السيرة العطرة قدوة له بحيث يستشير في أمور المسلمين العامة والخاصة، وأن تكون الشورى له ركيزة أساسية ومنهج.

المطلب الثاني: إن ينصركم الله فلا غالب لكم

قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:160-161].

بعد الأمر بالشورى، وبيان أهميتها، وبعد الأمر بالاستعانة بالله، والتوكل عليه، يوضح الله

---

(1) انظر: فتح الباري، ابن حجر (105/17)، وقول ابن حجر (إن القراء كانوا أصحاب مجلس عمر ومشاورته).
(2) انظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية(ص:165)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ابن جماعة(ص:60).
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي(174/1).

سنة من سننه، وقاعدة من قواعد قدرته وحكمته، يثبت بها المؤمنين، ويزيدهم بموجبها إيماناً على إيمانهم، حيث يقول سبحانه: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ**﴾، فقد تضمنت الآية حقيقة كبرى يجب العلم بها والعمل دائماً بمقتضاها، وهى النصر بيد الله، والخذلان كذلك، فلا يطلب نصر إلا منه تعالى.[1]

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**[2] **وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[3][آل عمران:161].

نزلت هذه الآية في شأن النبي ﷺ من سياق الحكم والأحكام المتعلقة بغزوة أُحد، عن ابن عباس قال: (فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال أناس: لعل النبي ﷺ أخذها)؛ فأنزل الله تعالى ﴿**وَما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**﴾[4]

ثم قال ﷻ: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ أي: إن كل من يقع منه غل أو غلول؛ فإنه يأتي بما غل به يوم القيامة. عن أبي هريرة ﷺ قال: (لما فتح الله خيبر انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له يقال له مدعم[5] فلما نزلنا الوادي رمي بسهم فمات فقلنا هنيئا له بالشهادة يا رسول الله فقال: **كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لتلتهب عليه ناراً أخذها من المغانم لم تصبها المقاسم**، ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال يا رسول الله أصبت يوم خيبر فقال: شراك أو شراكان من نار).[6]

---

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري(218/1).

(2) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم **(يَغُل)** بفتح الياء وضم العين، وقرأ الباقون **(يُغَل)** بضم الياء وفتح العين، انظر: النشر، ابن الجزري(243/2)، **فمن قرأ بالنصب معناه:** وما كان لنبي أن يخون في الغنيمة، ما كان لنبي أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم. **ومن قرأ بالضم فمعناه:** يحتمل أَمرين: يُخَان، يعنى أَن يؤخذ من غنيمته. والآخر، يُخَوَّن أَي ينسب إِلى الغُلُول انظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة(179/1)، بحر العلوم، السمرقندي(334/1)، بصائر ذوى التمييز: الفيروز آبادي (1174/1).

(3) "وهذه الآية من الآيات المقررة لصيانة الأموال العامة، في المجال الدستوري" انظر: الإسلام والدستور، توفيق السديري(83/1).

(4) أسباب النزول، الواحدي(71/1).

(5) **مدعم العبد الأسود:**

مولى رسول الله ﷺ كان عبدا لرفاعة بن زيد بن وهب الجذامي الضبي فأهداه إلى رسول الله ﷺ ،واختلف هل أعتقه رسول الله ﷺأو مات عبدا، وخبره مشهور بخيبر وهو الذي غل الشملة يوم خيبر وجاء في الحديث إن الشملة لتشتعل عليه نارا وقتل بخيبر أصابه سهم غرب فقتله حديثه عند مالك وغيره . انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر(1468/4)، الإصابة، ابن حجر(75/3)،أسد الغابة، ابن الأثير(499/3).

(6) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح3993(1547/4).

والغلول: "هو الخيانة من المغنم والسرقة من الغنيمة، قبل القسمة، وكل من خان شيئاً في خفية فقد غل، وسميت غلولاً؛ لأن الأيدي فيها مغلولة، أي ممنوعة مجعولة في غل، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير في عنقه."(1)

فالغنيمة تُجمع ثم تقْسَم حسب ما شرعه الله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[الأنفال:41]، فمن أخذ شيئاً منها بدون القسمة أو التنفيل الذي يمنحُه القائد لبعض المجاهدين لمزية فيه؛ ومن أخذ شيئاً بدون وجه شرعي من المغانم فهذا الغُلول، فهو كبيرة من كبائر الذّنوب.(2)

المطلب الثالث: رضوان الله ورحمته بعباده وارساله محمدﷺ من نعم الله عليهم

قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ*هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:162-164].

في هذه الآيات يرفع الله همم أهل الإيمان إلى التحلي بالمحامد الموصلة إلى مرضاته تعالى إذ يقول: ﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران:162]،لا يستوون، بل لابد أنهم يتفاوتون، كما يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿**هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[آل عمران:163] فأهل الخير درجاتهم في الجنة، وأهل الشر دركاتهم في النار.

وبعد أن امتن الله على النبي ﷺ، وعلى المؤمنين بلين جانبه ﷺ في الشدائد، وحسن خلقه، يمتن مرة ثانية على المؤمنين بالنعمة الكبرى، والمنة العظمى على الدنيا كلها وهي بعثة محمد ﷺ فيقول: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[آل عمران:164] فقوله تعالى: ﴿**مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ "أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تَعالَى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾ [الروم:21] أي: من جنسكم، وقوله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ [الكهف:110] وكذلك قوله ﷻ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان:20] فهذا أبلغ في الامتنان أن

(1) الكبائر، محمد عبد الوهاب(193/1).

(2) انظر: إعانة المستفيد ، صالح بن فوزان الفوزان(290/2)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، الهيتمي، (184/3).

يكون الرسل إليهم منهم، بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فَهْم الكلام عنه".(1)

إن الله ﷻ لم يرحمهم في الدنيا برحمةٍ، ولم يحسن إليهم إحساناً، أعظم من إحسانِه إليهم بهذا الدين القيم، وهذه الشريعة الكاملة؛ ولهذا لم يذكر في القرآن لفظة المن عليهم إلا في سياق ذكرها كقوله: **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [الحجرات:17] فهي محض الإحسان إليهم والرأفة بهم وهدايتهم إلى ما به صلاحهم في الدنيا والآخرة.(2)

هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة. **ومن مظاهر هذه المنة والفضل ببعثة الرسول ﷺ أن هذا الرسول الكريم:**

1- **﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾** يعني: القرآن، والتلاوة هي القراءة فهو ﷺ كان يقرأ عليهم الآيات التي أنزلها الله تعالى عليه لهداية الناس.

2- **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾** أي: يطهرهم من الكفر والذنوب، وذلك بدعوتهم إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة، والتحلي بالأخلاق الحسنة، وترك الرذائل السيئة، وكلمة التزكية تعنى: التربية والتسامي بالنفس وامتلاك الهوى.(3)

وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، ورسل الله هم أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها، إلا من طريقهم وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم.(4)

3- **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾**: أي: يبين لهم الأمور الأساسية التي نزل القرآن لأجلها، فيبين لهم أحكام القرآن، ويفسر لهم ما خفي عنهم من الألفاظ.

4- **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: والحكمة هي السنة، كما يقول العلماء، والسنة تشتمل على بيان وتفسير للقرآن الكريم، وتعليم الناس أمور دينهم، وتشتمل على تشريعات وأحكام من تحليل وتحريم، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى (5) لقوله تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** [النَّجم:3 -4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(158/2).

(2) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم(405/2).

(3) انظر: قذائف الحق، محمد الغزالي(91/1)، التفسير المنهجي، فضل عباس(171/1).

(4) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم(342/2).

(5) انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس(172/1).

قال ابن عثيمين: "هذه فوائد أربع عظيمة لو وزنت الدنيا بواحدة منها لوزنتها عند من يعرف قدرها".[1]

(1) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن العثيمين(4/2).

المطلب الرابع: ما أصاب الناس من مصائب فهي بإذن الله

قال **تعالى:﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران:165-166].

بعد الدروس الإيمانية التربوية، التي تخللت الكلام عن عزوة أُحد، يعود السياق لدروس الغزوة المباشرة. **فيقول ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[آل عمران:165].

سبب النزول

ذكر الواحدي في سبب نزول الآية "عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم أُحد قُتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وَهُشِمَت ٱلْبَيْضَة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله تعالى الآية".(1)

وقوله ﷻ: **﴿أَنَّى هَذَا﴾** أي كيف هذا، ونحن موعودون بالنصر ونزول الملائكة، وفينا نبي ينزل عليه الوحي من السماء! فقال لهم في الجواب **﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾** يعنى الرماة الذين خالفوا الأمر وعصوا الرسول ﷺ، وإنما كان النصر ونزول الملائكة مشروطاً بالطاعة، وألا يعصى أمر الرسول ﷺ.(2)

ثم يريح الله ﷻ نفوس المؤمنين، ويرشدهم إلى الحق والصواب، في علة ما حدث من هزيمة عسكرية، حيث يقول ﷻ: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[آل عمران:166]، فكل شيء بقضاء الله وقدره، وإذنه، وليميز الله المؤمنين من غيرهم، ويظهرهم للناس؛ تكرمة لهم، وإنعاماً عليهم.

قوله ﷻ: **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** "هو يوم أُحد، وإنما لم يقل وهي بإذن الله؛ لأن المقصود إعلان ذكر المصيبة وأنها بإذن الله، إذ المقام مقام إظهار الحقيقة، وأما التعبير بلفظ ما أصابكم دون أن يعاد لفظ المصيبة فتفنن، أو قصد الإطناب".(3)

(1) أسباب النزول، الواحدي(127/1- 128).

(2) انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(45/15).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور(162/4).

المطلب الخامس: المنافقون أقرب للكفر منهم الإيمان

قال تعالى: ﴿ **وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾ [آل عمران:167].

ما زلنا في سياق آيات القرآن الكريم التي تؤكد نوع النفاق القائم على الريبة والشك، وتشير الآية إلى موقف عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه، وكانوا نحواً من ثلاثمائة رجل، ويسميهم ﴿**الَّذِينَ نَافَقُواْ**﴾ وقد كشفهم الله في هذه الموقعة وميز الصف الإسلامي منهم، فقد قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللّه أو اشتركوا في الدفاع عن بلدكم وأعراضكم وأموالكم فلم يُلبوا، ﴿**قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ**﴾ أي قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولَما كَتبَ الله تعالى الهزيمة على المؤمنين، فَرِحَ المنافقون، وتشفوا من المؤمنين،[1] وقالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا، وما قُتلوا، ولذا قال الله ﷻ بعدها مباشرة ﴿**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ**﴾.

وبعد أن وصفهم ﷻ بأنهم هم ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾[2][آل عمران:168]، ردَّ الله عليهم بقوله ﴿**فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[آل عمران:168]. إن كنتم صادقين في أن الحذر يمنع القدر، ويدفع الموت، فادفعوه عن أنفسكم، في ميدان القتال أو في غيره،، "فالموت يصيب المجاهد والقاعد والشجاع والجبان، ولا يرده حرص ولا حذر، ولا يؤجله جبن ولا قعود، والواقع هو البرهان الذي لا يقبل المراء وهذا الواقع هو الذي يجبهم به القرآن الكريم، فيرد كيدهم اللئيم ويقر الحق في نصابه ويثبت قلوب المسلمين، ويسكب عليها الطمأنينة والراحة واليقين".[3]

---

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب(1170/2)، في ظلال القرآن، سيد قطب(494/1)، التفسير الحديث، دروزة(264/7).

(2) روى هشام عن أبيه عامر من طريق الداجوني ﴿**مَا قُتِّلُوا**﴾ بتشديد التاء، و الباقون بالتخفيف. انظر: النشر، ابن الجزري(243/2).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب(495/1).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (169 – 170).

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: الشهادة: دلالتها وأقسامها**
- **المطلب الثاني: مآثر و ثمرات الشهادة**
- **المطلب الثالث: نماذج من شهداء أُحد**

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (169 - 170)

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [آل عمران:169-170].

بعد الجولة السابقة في الرد على المنافقين، ومفاهيمهم المغلوطة، بين الله تعالى أنه لا مفر من الموت والقدر، وبشر أهل الإيمان بحياة من فقدوا من الإخوان، حيث يقول ﷻ: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[آل عمران:169] أي: لا تظن أيها الرسول، وأيها المؤمنون أن الذين قُتلوا في سبيل الله تعالى، ومن أجل إعلاء كلمته، لا تظنهم أمواتاً، ولكنهم أحياء عند ربهم يرزقون[1] "وهكذا يمضي السياق في بيان هذه الحقيقة، حقيقة أن الذين قتلوا في سبيل الله لم ينقطعوا عن حياة الجماعة المسلمة من بعدهم، ولا عن أحداثها فهم متأثرون بها، مؤثرون فيها، والتأثير والتأثر أهم خصائص الحياة، ويربط بين حياة الشهداء في معركة أُحد وبين الأحداث التي تلت استشهادهم برباط محكم".[2]

المطلب الأول: الشهادة دلالتها وأقسامها

الشهادة درجة يرفع الله إليها من يتخير من عباده، وإذا أراد الله ﷻ أن يرفع درجة إنسان اختاره شهيداً، والشهيد[3] في الأصل هو من مات من المسلمين في جهاد الكفار، بسبب من أسباب قتالهم، قبل انقضاء القتال، كأن قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم، أو عاد إليه سلاحه، أو تردى في بئر أو وهدة أو رفسته دابته فمات أو قتله مسلم باغ استعان به أهل الحرب.[4]

---

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، نخبة من العلماء(544/1)،التفسير المنهجي، فضل عباس(177/1).

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب(496/1).

(3) **قال ابن فارس:** (الشين والهاء والدال، أصل يدل على حضور وعلم، واسْتُشْهِدَ قُتِلَ شهيداً وتَشَهَّدَ طلب الشهادة والشَّهِيدُ الحيُّ، الشَّهيدُ الشاهد والجمع الشُّهَدَاءُ).انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(221/3)، لسان العرب، ابن منظور(238/3)، مختار الصحاح، الرازي(354/1).

(4) انظر: مغني المحتاج، الشربيني(350/1)، وحاشية ابن عابدين، ابن عابدين(607/1).

ثم اتسع مفهوم الشهادة، فأُطلق على من سماه النبي ﷺ، من المبطون، والغرق، والحرق وصاحب، الهدم وغيرهم".[1]

وسُمي الشهيد شهيداً لأَنَّ اللَّهَ وملائكته شُهودٌ له بالجنة؛ وقيل: سُمُّوا شهداء لأَنهم ممن يُسْتَشْهَدُ يوم القيامة مع النبي ﷺ على الأُمم الخالية وقيل غير ذلك [2]، قال الله ﷻ: **﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: 143].

أقسام الشهداء:

نجد السنّةَ النبويّة تجعل كثيراً من الميتات شهادة، ويُسْبِغ على من مات فيها اسم الشهيد، واصطلح العلماء والفقهاء على **تقسيم الشهداء إلى ثلاثة أقسام**[3]، **وهذا هو التقسيم الشائع:**

القسم الأول: شهيد الدنيا والآخرة:

شهيد الدنيا والآخرة، ويُعْرَفُ بالشهداء حقيقة وحكماً، أو الشهيد المطلق، وهو الذي يُقْتَل في قتال مع الكفار مقبلاً غير مدبر، لتكونَ كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، دون غرض من أغراض الدينا.

فأما **مقصودهم بشهيد الدنيا:** أنه يأخذ أحكاماً خاصة في الدنيا تميزه عن سائر الموتى، كعدم الغسل عند أكثر العلماء، والتكفين في ثيابه، وغير ذلك، **ومقصودهم بشهيد الآخرة:** أن له ثواباً موعوداً خصه الله به ﷻ.

القسم الثاني: شهيد الدنيا:

شهيد الدنيا أي دون الآخرة، وهو من قُتِلَ من المسلمين أثناء القتال مع الكفار في المعترك، وقام به مانع من موانع الشهادة، أو ارتكب ذنباً يُفْسِد شهادتَه كالرياء، والسمعة، والغلول من الغنيمة ونحوها، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا دون الآخرة، وهذا تجري عليه الأحكام الخاصة

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير(1254/2)، التعريفات، الجرجاني(170/1)، تاج العروس، الزبيدي(2062/1).

(2) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ابن عياض اليحصبي (517/2)، المطلع على أبواب المقنع، ابن مفلح (ص:116)، بذل الماعون، لابن حجر(ص:190).

(3) انظر: بدائع الصنائع، للكاساني(322/1)، حاشية رد المحتار، لابن عابدين:(434/6)، مواهب الجليل، للخطاب (67/3)، المجموع، النووي (225/5).

بالشهيد، وما يترتب عليه.[1]

فهذا الصنف تُطَبَّقُ عليه الأحكامُ التي تُطَبَّقُ على شهداء الصنف الأول؛ لأنه أشبهه في ظاهره، وحيث أطلق الفقهاء مصطلح الشهيد انصرف لهذا القسم والذي قبله، وحكمهما واحد في أحكام الدنيا.[2]

القسم الثالث: شهيد الآخرة:

شهيد الآخرة هو كل من ورد ذكره في السنة النبويّة من الشهداء غير المقاتلين في سبيل الله، الغريق والمطعون والحريق وكطالب العلم إذا مات في طلبه، والنّفساء الّتي تموت في طلقها، ونحو ذلك. والمراد أنهم شهداء في ثواب الآخرة، وإلا فهم كغيرهم من الموتى، ليس لهم أحكام خاصة، فيغسلون ويصلى عليهم، فهم شهداء بشهادة رسول الله ﷺ.[3]

المطلب الثاني: مآثر و ثمرات الشهادة

"أفضل ما يبذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها، لشرف ما بذله، مع محو الكفر، ومحق أهله، وإعزاز الدين"[4]، وبما أنَّ الشهداء استرخصوا أنفسَهم دفاعًا عن دين ربّهم، وإعلاءً له، فَامْتَنَّ الله عليهم بالأجر العظيم، **ووردت في فضل الشهيد عدة آيات ومجموعة كبيرة من الأحاديث بينت فضل الشهيد ومكانته وفيما يلي بيان لذلك:**

فضائل الشهادة في الكتاب:

1- قوله ﷻ: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: 154].

وجه الدلالة:

في الآية الكريمة يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية، مرزوقة في دار القرار تسرح في جنات الخلد، وتنعم في دار البقاء.[5]

(1) انظر: حاشية رد المحتار، ابن عابدين (252/2) مواهب الجليل، للخطاب (249/2)، كشاف القناع، للبهوتي (98/2)، المجموع، النووي (225/5).
(2) انظر: نهاية المحتاج، الرملي(497/2).
(3) انظر بدائع الصنائع، للكاساني: (322/1)، روضة الطالبين، للنووي(118/2 – 119)، تحفة المحتاج، لابن حجر الهيتمي(166/3 – 167) المغني، لابن قدامة(476/3).
(4) أحكام الجهاد وفضائله، العز بن عبد السلام (ص: 28).
(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (402/1).

2- وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 169-171].

وجه الدلالة: الآية نص في النهي عن حسبان أن الذين قُتلوا في سبيل الله، وفارقوا هذه الحياة، وبعدوا عن أعين الناس أموات، ونص كذلك في إثبات أنهم أحياء عند ربهم، ثم يلي هذا النهي وهذا الإثبات وصف ما لهم من خصائص الحياة فهم يُرزقون.(1)

وسبب نزول هذه الآية: "عن سعيد بن جبير قال: لما أُصيب حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير يوم أُحدﷺ ، ورأوا ما رزقوا من الخير، قالوا ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير؛ كي يزدادوا في الجهاد رغبة، فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم"(2)، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً**﴾. [آل عمران:169].

ثم وصف الله حالهم بقوله سبحانه: ﴿**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ آل عمران:170]. فرحين بفضل الله عليهم، استبشروا لإخوانهم الذين لم يستشهدوا بعد، ألا خوف عليهم فيما هو آت، ولا هم يحزنون على شيء فات، والشهداء لهم مزية تجعلهم يختلفون عن بقية الموتى، فهم في نعيم وحياة ورزق حسن عند ربهم، فرحون فرحاً عظيماً بما أعطاهم الله تعالى بعد انتقالهم من الحياة الدنيا إلى الآخرة، ويسرون بإخوانهم ورفقائهم الذين تركوهم خلفهم على قيد الحياة ينتظرون الشهادة.(3)

3- قوله **تعالى:** ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: 111].

وجه الدلالة: الشهادة بيعة بين العبد وخالقه، يقدم فيها العبد نفسه لله رخيصة فيستحق الجنة، فأخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(498/1).
(2) أسباب النزول، الواحدي(130/1).
(3) انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس(178/1).

ولهذا **قال الحسن البصري وقتادة:** "بايعهم الله فأغلى ثمنهم"[1] "فلا فرق عند من باع نفسه لربّه، بين رصاصة يستقبلها في صدرٍ مقبلٍ غير مدبر، أو حزام ينسف به الأعداء، و إن قطع النياط، ومزّق الأشلاء، ما دام طعم الشهادة واحداً".[2]

4- وقال **تعالى:** ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**﴾ [النساء:69] وقال تعالى: ﴿**وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء**﴾ [الزمر:69]. **وجه الدلالة:** أن الله سبحانه قرن ذكر الشهداء مع النبيين تكريماً لهم، وبياناً لعلو منزلتهم.

5-وقال تعالى: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء**﴾[آل عمران: 140]. الشهادة اصطفاء، وانتقاء، واختيار، والشهداء أحياءٌ عند الله في جنان الفردوس، يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من بعدهم.

قال السهيلي[3]: "وفيه فضل عظيم للشهداء، وتنبيه على حب الله إياهم؛ حيث قال: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء**﴾ [آل عمران: 140]، ولا يقال: اتخذت، ولا اتخذ إلا في مصطفىً محبوب، كما قال ﷻ: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ**﴾ [المؤمنون: 91]، وقال: ﴿**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً**﴾ [الجن: 3]. فالاتخاذ إنما هو اقتناءٌ واجتباء".[4]

فضائل الشهادة في السنة:

السنة النبويّة بسطت القول في موضوع الشهادة والشهداء؛ فبَيَّنَتِ المرادَ بالشهداء، وأوضحت ما ينتظرهم من مكانة عند ربّهم، وفَصَّلَت مراتب هذه المنزلة، وفيما يلي بيان لذلك الفضائل:

1- تخفيف آلام الشهيد عند قتله، فالشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كما يجد الإنسان ألم القرصة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد**

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(374/2).

(2) الفتاوى الندية في العمليات الاستشهادية، مجموعة من العلماء(ص: 44)، رأي د. أحمد عبد الكريم نجيب.

(3) **السُّهَيْلي (508 وقيل 509 - 581هـ):**

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم، الخثعمي، السهيلي، ، محدث، حافظ، مؤرخ، نحوي، مقرئ، أديب، أخذ القراءات عن سليمان بن يحيى وغيره . وروى عن ابن العربي القاضي أبو بكر وغيره من الكبار، من تصانيفه : التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، والقصيدة العينية، والروض الأنف، ونتائج الفِكَر، وكتاب شرح آية الوصية في الفرائض، ومسألة رؤية الله عزَّ وجلّ في المنام ،انظر: شذرات الذهب، الحنبلي(271/4)، وتذكرة الحفاظ، الذهبي(137/4)، ومعجم المؤلفين، الدمشقي(147/5).

(4) الروض الأنف، السهيلي(193/3).

أحدكم من مس القرصة)[1] قال جبار بن سلمى وهو الذي طعن حرام بن ملحان، يتساءل عن قول حرام: فزت ورب الكعبة، إن مما دعاني إلى الإسلام، أني طعنت رجلاً منهم يومئذ برمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت ورب الكعبة، فقلت في نفسي: ما فاز؟ ألست قد قتلت الرجل؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة. فقلت: فاز لعمر الله، فكان سبباً لإسلامه[2].

2- تمني الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشر مرات: عن أبي هريرةﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(والذى نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله، والذى نفسي بيده، لوددت أني أُقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أُقتل، ثم أحيا، ثم أُقتل، ثم أحيا، ثم أُقتل).**[3]

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة).**[4]

قال ابن بطال: (هذا الحديث أجّل ما جاء في فضل الشهادة، وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب).[5]

3- الشهيد في الفردوس الأعلى: عن أنس بن مالك ﷺ: أن أم الربيع بنت البراء - وهي أم حارثة بنت سراقة- أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله! ألا تحدثني عن حارثة؟ - وكان قُتل يوم بدر، أصابه سهم غَرْب[6] فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال: **(يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)**[7]

4- الشهيد تغفر ذنوبه وتكفر عنه خطاياه إلا الدَّين: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**(يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين).**[8]

---

(1) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب ما يجد الشهيد من الألم، ح3161(36/6)، قال الشيخ الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع(2012/2).

(2) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (207/3)، السيرة النبوية، الندوي(ص243- 244).

(3) صحيح البخاري، كتاب التمني، باب تمني الشهادة، ح6799(2641/6).

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا،ح2662(1037/3).

(5) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال(9/5).

(6) سهم غرب: أي لا يعرف راميه. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير(350/3).

(7) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من أتاه سهم غرب فقتله، ح2654(1034/3).

(8) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين،ح1885(1502/3).

5- الشهيد رائحة دمه مسك يوم القيامة: عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:**(والذي نفسي بيده، لا يُكلَم[1] أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكلَم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم، والريح ريح المسك)**[2] وكأن هذا الجهاد الذي شرعه الله لنا، يقلق أكبر وأقوى دولة، وأن الأسلحة الفتاكة يبطل مفعولها أمام إنسان أراد الجهاد في سبيل الله، فهذا جرح لا في سبيل مكسب مادي، ولكن في سبيل إحقاق حق ونشر الهدى.

6- الشهيد تصاحبه الملائكة وتظله بأجنحتها حتى يُرْفَع: عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (جيء بأبي يوم أُحد قد مُثل به، حتى وضع بين يدي رسول الله ﷺ وقد سجي ثوباً، فذهبت أريد أن أكشف عنه فنهاني قومي، ثم ذهبت أكشف عنه فنهاني قومي، فأمر رسول الله ﷺ فرفع، فسمع صوت صائحة فقال النبيﷺ: **(من هذه؟)** فقالوا: ابنة عمرو أو أخت عمرو، قال: **(فلم تبكي؟ أو لا تبكي، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع)**.[3]

7- تخصيصُ دار لهم تُسمى دار الشهداء: عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة، وأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها، قال: أما هذه الدار فدار الشهداء)**.[4]

8- الشهيد يشفع في سبعين من أهله، ويُزَوَّجُ من الحور العين

"فجزاء الثمن الباهظ الذي يدفعه وهو روحه رخيصة في سبيل الله ﷻ، لم يبخسه أعدل العادلين حقه فكافأه مكافأة بست جوائز، كل واحدة منها تعدل الدنيا بمن فيها"[5]، عن المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(للشهيد عند الله ست خصال، يُغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار: الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه)**[6]

---

(1) يكلم: أي يجرح، قال ابن الأثير: أصل الكلم: الجرح، وكلمى جمع: كليم، وهو الجريح، فعيل بمعنى مفعول. انظر: النهاية، ابن الأثير(199/4).

(2) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من يجرح في سبيل الله ﷻ،ح 2649(1032/3).

(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ظل الملائكة على الشهيد، ح2661(1036/3).

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ح2638(1028/3).

(5) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، بريك العمري(245/1).

(6) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب في ثواب الشهيد،ح1663(187/4)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في أحكام الجنائز(ص36).

9- حفظُ جثّته من أن تَبْلَىٰ

ومن إكرام الله لأجسادهم التي بذلوها لأجله؛ إبقاؤها كما هي؛ فلا تأكل الأرض أجسادهم، وفي حديث جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنه عندما دفن أبوه مع آخر، وكانا قد قُتلا في معركة أُحد، قال جابر: (...**ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هنية**[1]**غير أذنه**)[2]

المطلب الثالث: نماذج من شهداء أُحد

شهداء أُحد هم رجال رباهم النبي ﷺ، فباعوا الدنيا، واشتروا الآخرة بأغلى الأثمان؛ بدمائهم وأرواحهم، وقدموها لله، إنهم القدوة لمن جاء بعدهم، ولقد اصطفى الله ﷻ من المؤمنين شهداء في هذه المعركة وعددهم سبعين شهيداً، ونبدأ الحديث عن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

حمزة بن عبد المطلب

في غزوة بدر قال المشركون: مَن هذا الملثم الذي على صدره ريشة النعام؟ فقالوا: حمزة. فقالوا: هذا الذي فعل بنا الأفاعيل[3]، وجاءت غزوة أُحد واستبسل المسلمون في مقاتلة المشركين وكان شعارهم: أمت، أمت، واستماتوا في قتال بطولي ملحمي سجل فيه أبطال الإسلام صوراً رائعة في البطولة والشجاعة[4]، وسجل التاريخ روائع بطولات حمزة بن عبد المطلب، وأبلى حمزة رضي الله عنه بلاءً شديداً، وكان يقاتل بين يدي رسول الله (بسيفين ويقول: أنا أسد الله. فلما تراجع المسلمون اندفع حمزة نحو رسول الله يقاتل المشركين، واختبأ وحشي لحمزة، وضربه ضربة شديدة برمحه فأصابته في مقتل، واستشهد البطل الشجاع، قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نَشَع من البكاء.[5]

---

(1) هنية: أي قليلاً، وهو تصغير هنة، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير(279/5).

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة،ح1286(453/1).

(3) انظر: دلائل النبوة، البيهقي(331/3)، حياة الصحابة، للكاندهلوي (87/2).

(4) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء(303/1).

(5) انظر: السيرة الحلبية، الحلبي(502/2)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، الكلاعي(71/2)، الرحيق المختوم، المباركفوري(229/1).

أنس بن النضر

وهاك فوق ما سبق نموذجاً واعياً للثبات على الإسلام، حتى آخر لحظة، والوصية بالدفاع عن الرسول ﷺ حتى آخر رمق، يمثله الصحابي الجليل أنس بن النضر ؓ الذي كان يحث المسلمين على الجهاد ويقول: (الجنة، ورب النضر إني أجد ريحها من دون أُحد)

وعندما انجلت المعركة وجد في جسده بضعاً وثمانين من بين ضربة ورمية، وطعنة لم يعرفه أحد إلا أخته (الربيع) عرفته ببنانه، وحين أرسل النبي ﷺ زيد بن ثابت ليتفقده وجده وبه رمق، فرد سلام الرسول ﷺ ثم قال: **(إني أجد ريح الجنة)** وقل لقومي من الأنصار: (لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى الرسول ﷺ وفيكم شفر طرف ودمعت عيناه).[1]

حنظلة بن أبي عامر

هو حنظلة بن أبي عامر الراهب والأنصاري الأوسي من بن عمرو بن عوف، عن حنظلة بن أبي عامر أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب يوم أُحد، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود، وكان يقال له ابن شعوب، قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله، فقال رسول الله ﷺ: **(إن صاحبكم، يعني حنظلة، لتغسله الملائكة، فاسألوا أهله ما شأنه)** فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: **(لذلك غسلته الملائكة)**

وهكذا يمضي حنظلة الشهيد إلى الله ﷻ مؤثراً ما عند الله من النعيم المقيم والسعادة الأبدية، وتَرَكَ الزوجة التي لم تدم الصلة بينه وبينها إلا ليلةً واحدة، امتثالاً واستجابة لأمر الله الذي يقول: **﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[التوبة:41] وكان من آثار تلك الاستجابة، وذلك الانقياد أن يُقتل شهيداً في سبيل اللهِ أولاً، وأن ينال شرف تغسيل الملائكة له ثانياً، وكفى بذلك شرفاً وفخراً.[2]

(1) انظر: حياة الصحابة، الكاندهلوي(4/ 171)، مختصر سيرة الرسول ﷺ ، محمد عبد الوهاب(245/1).

(2) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني(357/1)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر(113/1)،الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (118/2)، أسد الغابة، ابن الأثير (99/2).

الخاتمة والتوصيات

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً: أهم التوصيات.

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله تعالى إذ يَسر وأعان على إتمام هذا البحث بفضله، وبعد بيان مقاصد وأهداف الحزب السابع من سورة آل عمران من الآية (93–170)، ودراستها دراسة تحليلية، يمكن بيان أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي توصلتُ إليها وذلك على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

1. أن علم مقاصد السور يُعين على فهْمِ كتابِ الله فهماً صحيحاً، ويُعين على استخراجِ دقائق معانيها وتَدَبُّرِها، ويوصلُ إلى معرفة الحقّ في تفسير كلام الله، ومقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه.
2. معرفة المقصد للسورة يُبين نظم السورة، والمناسبات بين آيات السورة، وكذلك بمعرفة مقاصد السور يظهر بيان إعجاز القرآن وبلاغته.
3. اشتمال القرآن الكريم على كثير من القضايا العقدية، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن، التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن يبث هذا المعنى من خلال المقاصد، والأهداف، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور.
4. اشتملت سورة آل عمران على مجموعة من المقاصد والأهداف الإيمانية والأخلاقية في جوانب العقيدة والتشريع وبينت كيف تمسك المسلمون بعقيدتهم.
5. أظهرت السورة الحقد الذي يكنه اليهود للنبي ﷺ والمؤمنين، وفرحهم بما يصيب المؤمنين من نكبات ومصائب.
6. أن غزوة أُحد من أعظم المغازي التي كان لها أثر كبير في التربية بالأحداث، وتنقية الصف المسلم، وانكشاف المنافقين على حقيقتهم.
7. أظهرت هذه السورة من خلال غزوة أُحد أن السنن الربانية لا تحابي أحداً، فحين خالف الرماة أمر النبي ﷺ؛ تخلف عنهم النصر الذي وعدوا به؛ لأن من شروطه طاعة النبي ﷺ.
8. أظهرت السورة القدرات العالية التي كان يتمتع بها النبي ﷺ من سمات القيادة الرشيدة والحكيمة، في الجوانب السياسية والعسكرية والأمنية، التي ينبغي أن يستفيد منها القادة.
9. أظهرت هذه الغزوة نماذج رفيعة، وقمم عالية، من أمثلة الحب الصادق من الصحابة للنبيﷺ ، تجلت في مواطن كثيرة من بداية الغزوة إلى منتهاها.
10. في هذه الغزوة تطبيقات يمكن أن يستفيد منها القائد التربوي، والسياسي والعسكري، كلٌّ في مجاله، كما في تطبيق الشورى، والصدق، والسرية، والكتمان، واتخاذ القرار.
11. إن الولاء والطاعة للكافرين والمشركين حصاده الخزي والعار والذل والدمار، في الدنيا

والآخرة.

12. إن العمل الفردي ضد الهجمة الشرسة من الأعداء ضعيف، ولا يكون له الضربة المؤثرة في الأعداء، ولذلك فلابد من العمل الجماعي المنظم، من خلال الاعتصام بحبل الله المتين.

13. إن فلاح ونجاة ونصر هذه الأمة؛ يكون بالاستجابة لله ﷻ ولرسولهﷺ، وبالدعوة الى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ثانياً: أهم التوصيات

في ضوء الدراسة التي قمتُ بها، والنتائج التي توصلتُ إليها، فإنني أوصي ببعض **التوصيات التالية:**

1- أوصي نفسي وإخواني بتقوى اللهﷻ، والعمل على مرضاته، واتباع هدي النبيﷺ والعمل بمقاصد وأهداف آيات كتابه الكريم، فإن في ذلك الفلاح والنجاح.

2- القرآن الكريم مَعينٌ لا ينضب على مر العصور والأزمنة، فحبذا الكشف عن كنوزه وأسراره من خلال أهدافه ومقاصده.

3- أن يوجه طلاب العلم الشرعي وخاصة قسم التفسير وعلوم القرآن؛ لدراسة كافة مقاصد وأهداف القرآن الكريم، لتستفيد منها الأمة وطلاب العلم، من خلال السلسلة الكريمة التي وضعتها الجامعة.

4- الاهتمام بالتربية على المبادئ التربوية كالشورى وغيرها، في كافة مؤسساتنا، وتأصيل هذه المبادئ، وتربية الناشئة عليها، وتفعليها عملياً.

5- الاهتمام بدراسة النواحي القيادية والإدارية، التي كان يتمتع بها النبي ﷺ، في كافة مؤسساتنا، وتأصيل ذلك تأصيلاً شرعياً وتربوياً، فإنه ﷺ القدوة الكاملة.

وختاماً أسأل الله ﷻ أن أكون قد ساهمتُ في خدمة كتابه العزيز، وسهّلت الاستفادة منه، للقارئ والدارس، كما أسأله ﷻأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن يلهمنا السداد والصواب، هذا وما كان من توفيق وصواب في هذه الرسالة فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان.

وأخيراً أرجو من المولى ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإنه خير مأمول، وأكرم مسئول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية:

الرقم	طرف الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
1.	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا	109	27، 102
2.	وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى	125	21 الحاشية
3.	لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا	143	137
4.	وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء	154	138
5.	وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ	177	16
6.	وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ	188	50
7.	وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ	205	34
8.	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ	275	71
	سورة آل عمران		
9.	رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا	7	5
10.	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ	18	5
11.	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا	19	6
12.	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ	33	3
13.	إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي	35	3
14.	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا	64	46
15.	وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ	69	27، 32
16.	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ	75	46
17.	بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ	76	7
18.	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ	86	7
19.	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ	92	8، 16

.20	كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ	93	15
.21	فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُون	94	7، 8، 15، 18
.22	قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	95-96	18، 19
.23	فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا	97	19، 20
.24	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	98-99	23
.25	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا	100-101	26
.26	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	102	30
.27	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ	103	31
.28	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	104	33
.29	ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد	105	35، 58
.30	يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ	106	35
.31	تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ	108	35
.32	وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ	109	36
.33	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	110	6، 36
.34	لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ...	111-112	39، 40
.35	لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ	113	46
.36	يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	114	47
.37	وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ	115	48
.38	مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ	116	51
.39	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ	118-119	7، 45، 59
.40	إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ	120	60
.41	وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ	121	64
.42	إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ	124	67

.43	بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِم	125	67
.44	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم	126	68
.45	لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ	127	68، 69
.46	لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ	128	69
.47	وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ	129	70
.48	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا	130	71،8، 72
.49	وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ *وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ	131-132	72
.50	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ	133	78
.51	ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ	134-136	83،81
.52	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ	137-138	83، 84، 85
.53	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	139	89
.54	إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ	140	88، 89، 140
.55	وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ	141-143	7، 91، 92، 94
.56	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	144- 145	94، 97، 99
.57	وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا	146-148	96، 102، 104، 105
.58	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ	149-151	106، 107
.59	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا	152	108
.60	إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ	153	114، 115
.61	ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً	154	117، 118، 119
.62	إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ	155	8، 119

.63	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا	156	121، 122
.64	وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ	157	122
.65	وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ	158	122
.66	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ	159	10، 125، 126
.67	إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ	160	128
.68	وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ	161	9، 129
.69	أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ	162	130
.70	هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ	163	130
.71	لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ	164	130
.72	أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا	165	64، 132
.73	وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ	166	132
.74	وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ	167	133
.75	الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا	168	9، 134
.76	وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء	169-170	9، 136، 138
.77	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	185	6
.78	لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ	196	32
	سورة النساء		
.79	وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ	2	50
.80	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً	10	50
.81	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	29	50، 140

.82	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ	51-52	45
.83	وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ	79	108
.84	فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ	104	57
.85	وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ	131	30
.86	فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ	160-161	17، 70
سورة المائدة			
.87	نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ	18	47
.88	وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ	51	58
.89	أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي	54	81
.90	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا	55	57
.91	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...	78-79	38
.92	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ	82	55
.93	وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ	94	61
سورة الأعراف			
.94	وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	181	36الحاشية
سورة الأنفال			
.95	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ	9	68
.96	وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ	26	103
.97	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ	36	52
.98	لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ	37	92
.99	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ	41	130
سورة التوبة			
.100	انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ	41	144
.101	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	67	37

.102	فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ	81	50
.103	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم	111	139
.104	مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ	113	60
سورة هود			
.105	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ	116-117	38
سورة يوسف			
.106	مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي	100	119
سورة الأنعام			
.107	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا	93	18الحاشية
.108	وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ	146	17
سورة الكهف			
.109	وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ	63	119
.110	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ	110	130
سورة مريم			
.111	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي	4	88
سورة طه			
.112	وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ	131	59
سورة المؤمنون			
.113	مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ	91	140
سورة الفرقان			
.114	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ	20	130
.115	وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ	72	59
سورة القصص			
.116	هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ	15	119

سورة العنكبوت			
.117	الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ	1-2	93
.118	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ	13	25الحاشية
سورة الروم			
.119	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا	21	130
سورة لقمان			
.120	مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	28	80
سورة السجدة			
.121	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ	17	80
سورة الأحزاب			
.122	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ	40	98
سورة سبأ			
.123	وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى	37	49
سورة الزمر			
.124	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ	30	98
سورة فصلت			
.125	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ	26	24، 25
.126	لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ	42	32
سورة الشورى			
.127	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى	38	127
.128	فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِين	40	82
سورة الجاثية			
.129	ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا	8	51
سورة الأحقاف			
.130	قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ	15	ب

سورة محمد			
131.	ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ	4-6	78
سورة الفتح			
132.	سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا	11	50
133.	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ	29	81، 98
سورة الحجرات			
134.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	13	47
سورة الذاريات			
135.	فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ	29	51
136.	أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ	53	24
سورة النجم			
137.	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى	3-4	131
سورة الرحمن			
138.	بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ	54	80
سورة الحديد			
139.	وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ	20	49
140.	سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ	21	80
سورة المجادلة			
141.	لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ	12	56
142.	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	16	24
سورة الحشر			
143.	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا	7	31
144.	تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ	14	40
سورة الممتحنة			
145.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ	1	57

146.	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ	4	56
	سورة المنافقون		
147.	يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ	9	50
	سورة التغابن		
148.	فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا	16	30
	سورة التحريم		
149.	عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ	5	21 الحاشية
	سورة القلم		
150.	وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ	4	124
	سورة نوح		
151.	وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا	7	51
	سورة الجن		
152.	مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً	3	140
	سورة القيامة		
153.	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	22- 23	80
	سورة الإنسان		
154.	وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ	8	16

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

المسلسل	طرف الحديث	ورود الحديث وحكمه	رقم الصفحة
1.	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء	صحيح البخاري	107
2.	إني أجد ريح الجنة دون أحد	صحيح البخاري	109
3.	إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم	صحيح البخاري	115
4.	رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان	صحيح البخاري	116
5.	غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد	صحيح البخاري	117
6.	احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا	صحيح مسلم	118
7.	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	صحيح البخاري	120
8.	وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا	صحيح مسلم	121
9.	كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا	صحيح مسلم	126
10.	كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها	صحيح البخاري	129
11.	ما يجد الشهيد من مس القتل	سنن النسائي، حسن	140
12.	والذى نفسى بيده، لولا أن رجالا من	صحيح البخاري	140
13.	ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى	صحيح البخاري	141
14.	يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة،	صحيح البخاري	141
15.	يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين	صحيح مسلم	141
16.	والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد في سبيل الله	صحيح البخاري	142
17.	فلم تبكي؟ أو لا تبكي، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع	صحيح البخاري	142
18.	رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي	صحيح البخاري	142
19.	للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة	سنن الترمذي، حسن صحيح	142
20.	ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر	صحيح البخاري	143

.21	اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا	صحيح مسلم	2
.22	يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا	صحيح مسلم	2
.23	صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف	صحيح مسلم	20
.24	أن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً،	صحيح مسلم	32
.25	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	صحيح مسلم	33
.26	لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة	صحيح البخاري	35
.27	إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك	سنن أبي داود، صحيح	38
.28	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار	صحيح البخاري	38
.29	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون	صحيح البخاري ومسلم	39
.30	لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل	سنن الترمذي، حسن	51
.31	من تشبه بقوم فهو منهم	سنن أبي داود، صحيح	58
.32	إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها	صحيح مسلم	59
.33	إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله	صحيح مسلم	59
.34	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً	صحيح البخاري	61
.35	لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ	صحيح البخاري	66، 69
.36	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ،	صحيح البخاري	70
.37	مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إلا أَحَلُّوا	مسند أحمد، حسن	71
.38	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني	صحيح البخاري	74
.39	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	صحيح البخاري	80
.40	قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض	صحيح مسلم	80
.41	اليد العليا خير من اليد السفلى	صحيح البخاري	81
.42	لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا الله الْعَافِيَةَ	صحيح البخاري	94
.43	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	سنن الترمذي، صحيح	ب

ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم المسلسل	العلم	رقم الصفحة
1.	ابن بطال	33
2.	ابن رجب	57
3.	ابن عطية	51
4.	ابن عيينة	46
5.	أبو الحسن	56
6.	أبو أمامة الباهلي	2
7.	أبو بكر الأصم	58
8.	الثوري	38
9.	الحسن البصري	40
10.	السهيلي	132
11.	الغزالي	34
12.	الفضيل بن عياض	30
13.	القاضي عياض	86
14.	قتادة	27
15.	محمد بن إسحاق	74
16.	مدعم العبد الأسود	122
17.	النعمان بشير	31
18.	النواس بن سمعان	2

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. **أحكام الجهاد وفضائله:** عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت: 660هـ)، تحقيق: نزيه كمال حماد، دار الوفاء-جدة، ط1406،1هـ/1986م.
2. **أحكام القرآن للكيا الهراسى:** علي بن محمد بن علي أبو حسن الطبري، الملقب عماد الدين ابن محمد الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت:504هـ)، تحقيق: موسى علي وعزت عطية، دار الكتب العلمية -بيروت، ط2، 1405هـ.
3. **أحكام القرآن:** أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي(ت: 370هـ)، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1405هـ.
4. **أحكام القرآن:** القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر ابن العربي، المعافري الإشبيلي المالكي(ت:543) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ.
5. **إحياء علوم الدين:** أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: 505هـ)، دار المعرفة -بيروت.
6. **أحكام الجنائز:** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج وح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، المكتب الإسلامي، ط4، 1406 هـ / 1986 م.
7. **إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات:** محمد بن علي عبدالله الشوكاني(ت:1250هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1404،1هـ/ 1984م.
8. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت:982هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1.
9. **الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد:** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، ط4، 1420هـ/1999م.
10. **أساس البلاغة:** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419 هـ.
11. **أسباب النزول:** أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت:468 هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط2، 1412هـ/1992م.
12. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

13. **أسد الغابة:** أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير(ت: 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وأخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ /1994م.
14. **الإسلام والدستور:** توفيق بن عبد العزيز السديري، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1425هـ.
15. **الإصابة في تمييز الصحابة:** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ.
16. **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة:** نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ.
17. **أصول السرخسي:** محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي(ت:483هـ)، دار المعرفة-بيروت
18. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي(ت: 1393هـ)، دار الفكر- بيروت ، 1415 هـ/1995م.
19. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد:** صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط3، 1423هـ /2002م.
20. **إعراب القرآن:** أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت:338هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد عالم الكتب- بيروت، ط1، 1409هـ/1988م.
21. **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) تحقيق: محمد بن عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1411هـ /1991م.
22. **الأعلام:** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:1396هـ)، دار العلم للملايين، ط5، 2002م.
23. **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1395 هـ/1975م.
24. **أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:** محمد بن إبراهيم الحمد.

25. **إقامة الدليل على إبطال التحليل:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: 728هـ)، المكتبة الشاملة الإصدار الأول.

26. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:** أبو العباس تقي الدين أحمد بنعبد الحليم ابن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، دار عالم الكتب،ط7، 1419هـ / 1999م.

27. **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء:** أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1417هـ.

28. **الإمامة في ضوء الكتاب والسنة:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: 728هـ)، جمع وتقديم وتعليق محمد مال الله.

29. **الأمثال في القرآن الكريم:** محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة - طنطا، ط1، 1406 هـ/1986م.

30. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (ت: 311هـ).

31. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ) ، تحقيق: حمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث - بيروت، ط1، 1418 هـ.

32. **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم:** عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.

33. **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد:** محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي(ت:840هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1987م.

34. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:** جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ، ط5، 1424 هـ/2003م.

35. **أيسر التفاسير:** أسعد حومد، المكتبة الشاملة- الإصدار الأول.

36. **الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين:** للشيخ حمود بن عبد الله ابن حمود التويجري، مكتبة العبيكان ، ط 2، 1405هـ.

37. **بحر العلوم:** أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ).
38. **البحر المحيط في أصول الفقه:** بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(ت:794هـ)، دار الكتبي، ط1، 1414هـ - 1994م.
39. **البداية والنهاية:** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1408،1هـ/1988م.
40. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** : علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي(ت: 587هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، 1406هـ /1986م.
41. **بدائع الفوائد:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط1، 1416هـ/ 1996م.
42. **بذل الماعون في فضل الطاعون:** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (ت:852هـ)، ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب. الطبعة الأولى، الرياض، دار العاصمة، ط1، 1411هـ.
43. **البرهان في علوم القرآن:** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت:794هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،ط1376،1هـ/1957م.
44. **بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز:** مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت:817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة، ط2، 1406 هـ/1986م.
45. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.
46. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:** عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، تحقيق: دار القلم- دمشق، الدار الشامية - بيروت،ط1، 1416هـ/1996م.
47. **بيان المعاني:** عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: 1398هـ)، مطبعة الترقي - دمشق، ط1، 1382 هـ / 1965م.
48. **تاج العروس من جواهر القاموس:** محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
49. **تاريخ الرسل والملوك:** حمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، دار التراث-بيروت، ط2، 1387 هـ.

50. **تاريخ بغداد:** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط، 1422هـ /2002 م.

51. **تاريخ قضاة الأندلس "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا":** أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي الأندلسي (ت: نحو 792هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة – بيروت/لبنان، ط5، 1403هـ

52. **التبيان في تفسير غريب القرآن:** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، (ت: 815هـ)، تحقيق: ضاحي الباقي ، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1423هـ.

53. **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام:** أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: 733هـ)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد دار الثقافة – قطر، 1408هـ/1988م.

54. **التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد":** محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت:1393هـ)، الدار التونسية–تونس، ط1، 1984م.

55. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، تحقيق: د. نزيه كمال حماد، دار الوفاء– جدة، ط1، 1406–1986م.

56. **تحفة المحتاج بشرح المنهاج:** شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المالكي(ت:974هـ)، المكتبة التجارية الكبرى –مصر، 1357 هـ /1983م.

57. **تذكرة الأريب تفسير الغريب:** أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004 م.

58. **تذكرة الحفاظ:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ– 1998م.

59. **تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي:** عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، ط1، 1424هـ–2003م.

60. **تسهيل العقيدة الإسلامية:** عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي، ط2.

61. **التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي:** أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت، ط1، 1416 هـ– 1995م.

62. **التعريفات:** علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1405هـ.
63. **تفسير البحر المحيط:** محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.
64. **تفسير الجلالين:** جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، دار الحديث – القاهرة، ط1.
65. **التفسير الحديث:** محمد عزت دروزة، تحقيق: دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط1، 1383هـ.
66. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار):** محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين الحسيني (ت:1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
67. **تفسير القرآن العظيم:** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت:774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م.
68. **التفسير القرآني للقرآن:** عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.
69. **التفسير المنهجي:** فضل حسن عباس، دار المنهل- عمان، ط1، 2006م.
70. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:** وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق، ط2 ، 1418 هـ.
71. **التفسير الواضح:** محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد-بيروت،ط6، 1389هـ/1969م.
72. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم:** محمد سيد طنطاوي، دار النهضة- مصر، ط3، 1978م.
73. **التفسير الوسيط:** وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1422هـ.
74. **التنصير تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين:** عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة، ط1، 1420هـ 1999م.
75. **تهذيب التهذيب:** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي(ت:852هـ)، دار الفكر_ بيروت، 1404 هـ/ 1984م.
76. **تهذيب اللغة:** أبو منصور محمد بن أحمد الازهري الهروي، (370/282) (ت: هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، ط1، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964م.
77. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ت:1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط1،

1420هـ/2000م.

78. **الثقات:** محمد بن حبان بن أحمدبن حبان، أبو حاتم التميمي البستي(ت:354)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط1، 1395 هـ/ 1975م.

79. **جامع البيان في تأويل القرآن:** أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (ت: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ / 2000 م.

80. **الجامع الصحيح سنن الترمذي،** أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

81. **جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم:** زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي (ت: 795هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1422،7هـ /2001م.

82. **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط1384،2هـ/1964 م.

83. **جامع لطائف التفسير:** عبد الرحمن بن محمد القماش.

84. **جمهرة اللغة:** أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.

85. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن:** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)، تحقيق: محمد معوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.

86. **الحبائك في أخبار الملائك:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت:911هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1405،1هـ/1985م.

87. **حجاب المرأة ولباسها في الصلاة:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط5، 1403هـ/1985م.

88. **حجة القراءات:** عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة(ت: حوالي 403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ط1.

89. **الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات:** أبو مريم بن محمد الأعظمي، المكتبة الشاملة ، الإصدار الأول.

90. **حجج القرآن:** أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي، تحقيق: أحمد عمر المحمصاني، دار الرائد العربي–لبنان، ط2، 1402هـ/ 1982م.

91. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني(ت:430هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط4، 1405هـ.

92. **حياة الصحابة:** محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (ت: 1384هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة -بيروت ، ط1، 1420 هـ

93. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

94. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث- القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.

95. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت: 852هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية- الهند، 1392هـ/ 1972م.

96. **دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة:** علي الصلابي. المكتبة الشاملة ، الإصدار الأول.

97. **دلائل النبوة:** إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني(ت:535هـ)، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة – الرياض، ط1 ، 1409هـ.

98. **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة:** عبد الله بن محمد الغنيمان، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1405هـ/1985م.

99. **الرحيق المختوم:** صفي الرحمن المباركفوري(ت: 1427هـ)، دار الهلال - بيروت، ط1.

100. **رد المحتار على الدر المختار "حاشية ابن عابدين":** محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (ت: 1252هـ).، دار الفكر- بيروت، ، ط2، 1412هـ .

101. **رسالة في أسس العقيدة:** محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ.

102. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت:1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1،1415هـ.

103. **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، لابن هشام:** لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: طه عبد الرءوف، بيروت، دار الفكر، 1409هـ.

104. **روضة الطالبين وعمدة المفتين:** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1412هـ/1991م.
105. **زاد المسير في علم التفسير:** أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1422هـ.
106. **زاد المعاد في هدي خير العباد:** محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف ابن قيم الجوزي، (ت:751هـ)، تحقيق: شعيب الارناؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1415هـ-1994م.
107. **الزواجر عن اقتراف الكبائر:** شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت: 974هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، المكتبة العصرية- بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م.
108. **سر الإعجاز:** عودة الله القيسي، دار البشير -عمان، ط1، 1996 م.
109. **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة:** بريك العمري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار ابن الجوزي، ط1، 1417 هـ - 1996م.
110. **سنن ابن ماجه:** أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني(ت: 273هـ) تحقيق: بشار عواد ، دار الجيل، بيروت، ط1، هـ ، 1998م.
111. **سنن أبي داود:** أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
112. **سنن الترمذي "الجامع الكبير":** أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق :بشار عواد ، دار الجيل . بيروت + دار العرب الإسلامي . بيروت، ط2، 1998م.
113. **سنن النسائي:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت:303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، 1406هـ /1989م.
114. **السياسة الشرعية:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(ت:728هـ) دار الكتاب العربي، مصر، ط 2، 1955م.
115. **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(ت: 748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط3، 1405هـ/1985م.
116. **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي):** محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1978م

117. **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون:** علي بن ابراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت: هـ1044)، دار المعرفة-بيروت، 1400هـ.

118. **السيرة النبوية لابن هشام:** عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: 213هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل-بيروت، 1411هـ.

119. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت: 1089هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار بن كثير-دمشق، ط1، 1406 هـ.

120. **السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي:** علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدينالندوي (ت: 1420هـ)، دار ابن كثير - دمشق، ط12، 1425هـ.

121. **شرح السنة" محيي السنة":** أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ) تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق ، ط2، 1403هـ/ 1983م.

122. **شرح ثلاثة الأصول:** محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ) ، دار الثريا، ط4، 1424هـ - 2004م.

123. **شرح صحيح البخاري:** ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ) ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط2، 1423هـ - 2003م.

124. **شرح كتاب كشف الشبهات:** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، المكتبة الشاملة- الإصدار الأول.

125. **شرح نهج البلاغة:** عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: 656هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية- مصر 1381هـ.

126. **شعب الإيمان:** أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت:458هـ)، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1410هـ.

127. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف ابن قيم الجوزي،(ت : 751هـ)، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر - بيروت ، 1398 هـ/ 1978م.

128. **الصحاح في اللغة:** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ/1987 م.

129. **صحيح البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت: 256هـ)، تحقيق: د. مصطفى البغا ، ط3، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت، 1407هـ/ 1987م.

130. **صحيح الترغيب والترهيب:** محمد ناصر الدين الألباني(ت:1420)، مكتبة المعارف – الرياض، ط5.

131. **صحيح الجامع الصغير وزياداته:** محمد ناصر الدين الألباني(ت:1420)، المكتب الإسلامي، ط3، 1422هـ.

132. **صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

133. **صفوة التفاسير:** محمد علي الصابوني، مطبعة – القاهرة ط1، 1417 هـ – 1997م.

134. **الطبقات الكبرى:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت: 230هـ)،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، 1968م.

135. **طبقات المفسرين:** أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط1 ، 1997م.

136. **طبقات المفسرين:** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط1، 1396م.

137. **العجاب في بيان الأسباب:** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، تحقيق : عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي – الدمام، ط1 ،1997 م.

138. **العين:** أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري(ت:170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي ، دار ومكتبة الهلال.

139. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير:** أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، تحقيق: محمد الخطراوي – محي الدين مستو.

140. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1، 1416 هـ / 1996 م.

141. **غريب القرآن،** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت : 276هـ) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398 هـ/ 1978م.

142. **الفتاوى الندية في العمليات الإستشهادية:** مجموعة من العلماء، المكتبة الشاملة

143. **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، دار المعرفة– بيروت.

144. **فتح القدير:** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت:1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ.

145. **الفروق**: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المشهور بالقرافي(ت:684هـ)، عالم الكتب

146. **الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت: نحو 395هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة-مصر.

147. **الفقه الإسلامي وأدلته**: وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ط3،1409 هـ.

148. **فقه اللغة وسر العربية**: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي النيسابوري (ت: 430هـ)، تحقيق، مصطفى السقا، ط1، 1367هـ-1938م.

149. **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت: 438هـ) ، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة- بيروت ، ط2، 1417هـ/1997م.

150. **الفوائد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت:751هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ط3، 1393 هـ- 1973م.

151. **في ظلال القرآن**: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق- بيروت، ط17، 1412هـ.

152. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1415 هـ/ 1994م.

153. **القاموس المحيط**: للإمام محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، ط8، مؤسسة الرسالة بيروت، 1426هـ – 2005م.

154. **قبس من نور القرآن**: محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، ط2، 1408هـ-1988م.

155. **قذائف الحق**: محمد الغزالي السقا (ت: 1416هـ)، دار القلم،- دمشق، ط1، 1411هـ/1991م.

156. **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر مد آل سعدي (ت: 1376هـ)، مكتبة الرشد-الرياض، ط1، 1420هـ/1999م.

157. **القواعد العلمية في النقد عند شيخ الإسلام ابن تيمية**: عبدالله بن محمد الحيالي، المكتبة الشاملة –الإصدار الأول.

158. **القول السديد شرح كتاب التوحيد**: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن آل سعدي(ت: 1376هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط2، 1421هـ.

159. **القول المفيد على كتاب التوحيد:** محمد بن صالح العثيمين(ت: 1421هـ)، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، ط2، 1424هـ.
160. **الكامل في اللغة والأدب:** محمد بن يزيد المبرّد، أبو العباس (ت:285هـ بي- القاهرة،)، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي -القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.
161. **الكبائر:** الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ.
162. **كشاف القناع عن متن الإقناع:** منصور بن يونس بن إدريس البهوتي(ت:1051هـ)، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، 1402هـ.
163. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت ،1407هـ.
164. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد **بن عاشور**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.
165. **الكلم الطيب:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1977 م
166. **لباب التأويل في معاني التنزيل:** أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(ت:741هـ)، تحقيق:حمد علي شاهين، دار الفكر- بيروت،139 هـ/1979م.
167. **اللباب في علوم الكتاب:** أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط1، 1419 هـ /1998م.
168. **لسان العرب:** أبو الفضل محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(ت:711هـ)، تحقيق: علي عبد الله الكبير ، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
169. **لطائف الإشارات:** أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيونى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.
170. **المتفق والمفترق:** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)،تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري - دمشق، ط1،1417هـ/1997 م.
171. **مجموع الفتاوى:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ-2005م.

172. **المجموع شرح المهذب:** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر.

173. **مجموعة بحوث الكتاب والسنة:** كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ - 2008م.

174. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام ابن عطية المحاربي(ت:542هـ)، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

175. **مختار الصحاح:** للإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، (ت: 666هـ)، تحقيق:يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، 1420هـ/1999م.

176. **مختصر سيرة الرسول ﷺ:** محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (ت : 1206هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ.

177. **المخصص:** أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1417هـ.

178. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط2، 1393هـ/1973م.

179. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

180. **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ.

181. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار:** أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت: 544هـ)، دار التراث.

182. **مشكاة المصابيح:** محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين التبريزي (ت: 741هـ)،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1985م.

183. **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور:** برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي(ت:885هـ)، تحقيق: عبد السميع محمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408هـ/1987م.
184. **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت،1415هـ.
185. **المطلع على أبواب المقنع:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي(ت: 763هـ). بيروت، المكتب الإسلامي، 1401هـ.
186. **معالم التنزيل في تفسير القران:** أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت: 516هـ)،تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة ،1417هـ.
187. **معاني القرآن:** أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي(ت: 338هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
188. **معجم المؤلفين:** عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: 1408هـ) مؤسسة الرسالة، ط1، 1414هـ–1993م.
189. **معجم مقاييس اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،1399هـ/1979م.
190. **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج على متن المنهاج** : شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، دار الفكر–بيروت، ط1352،1هـ/1933م.
191. **المغني لابن قدامة:** أبو محمد موفق الدين عبد الله بن محمد بن قدامة (ت: 620هـ)، دار الفكر – بيروت، ط1، 1405هـ.
192. **مفاتيح الغيب:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.
193. **مفردات ألفاظ القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – دمشق، ط1، 1412 هـ.
194. **المفصل في شرح آية الولاء والبراء:** علي بن نايف الشحود، مكتبة وهبة– القاهرة، ط1، 1396هـ.
195. **مناهل العرفان في علوم القرآن:** محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر – بيروت،ط1 ، 1996م.

196. **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال:** أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي(ت: 748هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب.

197. **منهاج السنة النبوية:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: 728هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1 ، 1406هـ.

198. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج النووي**، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي،(ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

199. **المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت: 728هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي – جدة، ط1، 1422هـ.

200. **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الطرابلسي المغربي ، (ت: 954هـ) تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، ط1، 1423هـ/2003م.

201. **الموسوعة الفقهية الكويتية:** وزارة الاوقاف والشؤن الاسلامية، الكويت، ط2، دار السلاسل، 1427/1404هـ.

202. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي(ت:748هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1416هـ/1995م.

203. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: 874هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب– مصر.

204. **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن:** محمد الغزالي(1416هـ)، دار نهضة– مصر، ط1.

205. **النشر في القراءات العشر:** شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

206. **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ:** الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة – جدة، ط4.

207. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1415هـ–1995م.

208. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ط1.

209. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير(ت:1004هـ)، دار الفكر، بيروت،1404هـ/ 1984م.

210. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م.

211. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: حمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- مصر، ط1، 1413هـ / 1993م.

212. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ /2008 م.

213. الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف ابن قيم الجوزي (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي - بيروت ط1، 1405هـ /1985م.

214. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)،المكتبة العلمية - بيروت.

215. السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة: بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار ابن الجوزي، ط1، 1417 هـ / 1996 م.

216. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، 1405 هـ /1985م.

217. تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم..

218. **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية:** محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود (ت: 1428هـ)، دار اليقين، ط1، 1407 هـ / 1987 م.
219. **الموسوعة القرآنية:** إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، ط عام1405 هـ.
220. **الشرح الميسر لكتاب التوحيد** : للشيخ عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم ، الرياض: دار القاسم– الرياض، ط1، 1428هـ.
221. **الوافي بالوفيات:** صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ– 2000م.
222. **الوجيز في علم التجويد:** محمود سيبويه البدوي(ت: 1415هـ)، المكتبة الشاملة، الإصدار الأول.
223. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت:681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1.
224. **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف:** محمد بن سعيد سالم القحطاني،تحقيق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1402هـ.
225. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم:** نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ/ 2010م.
226. **تفسير القرآن العزيز:** أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين،(ت: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، هـ - 2002م.
227. **البيان في عدّ آي القرآن:** أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، (ت: 444هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث.
228. **تنزيل القرآن:** ابن شهاب الزهري،(ت 124)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1980م.

المجلات والأبحاث والمواقع الالكترونية

229. موقع القرضاوي، المشرف العام: د. يوسف القرضاوي
.www.qaradawi.net/2010-02-23-09-38-15/4/776.html
230. موقع هدى الإسلام، المشرف العام: أ.د. عبد الحي الفرماوي.
www.hadielislam.com/arabic/index.php?pg=articles%2Farticle&id

231. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، معوض إبراهيم معوض، (4/14)
http://www.iu.edu.sa/Magazine

خامساً: فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
.1	الإهداء	أ
.2	الشكر والتقدير	ب
.3	المقدمة	ت
	التمهيد: تعريف عام بسورة آل عمران	
.4	**المسألة الأولى:** فضل السورة	2
.5	موقع السورة من القرآن	3
.6	تسميتها	3
.7	عدد آياتها	4
.8	**المسألة الثانية:** زمن نزول السورة	4
.9	**المسألة الثالثة:** محور السورة وهدفها	4
.10	**هدف السورة:** الثبات على منهج الحق فكرياً وداخلياً	10
	الفصل الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران الآية (93-112).	
.11	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (93-97)**	13
.12	**المطلب الأول:** تكذيب اليهود في دعاوى حول سيدنا يعقوب‎عليه السلام.	14
.13	**المطلب الثاني:** الرد على اعتراض اليهود على تحويل القبلة	17
.14	**المطلب الثالث:** مقام إبراهيم عليه السلام ومنزلة البيت الحرام	19
.15	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (98- 101)**	21
.16	**المطلب الأول:** التنديد بأهل الكتاب لكفرهم وصدهم عن سبيل الله	22
.17	صور الصد عن سبيل الله	23
.18	**المطلب الثاني:** تحذير الأمة المسلمة من طاعة أهل الكتاب	25

.19	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (101- 112).**	28
.20	**المطلب الأول:** دعوة القرآن للمؤمنين بتقوى الله ﷻ	30
.21	**المطلب الثاني:** الحفاظ على الشخصية الإسلامية والاعتصام بالقرآن.	31
.22	**المطلب الثالث:** فلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.	33
.23	**المطلب الرابع:** خيرية أمة محمد ﷺ.	36
.24	مخاطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	37
.25	**المطلب الخامس:** تثبيت المؤمنين وبيان أن ما حل باليهود من الذل والصغار بسبب بغيهم	39
الفصل الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية(113-132)		
.26	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (113-117)**	43
.27	**المطلب الأول:** عدالة الإسلام مع أهل الكتاب	45
.28	**لمطلب الثاني:** مصير أعمال الكافرين يوم القيامة	47
.29	**المطلب الثالث:** ضرب الأمثال لبيان حال الكافرين	49
.30	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (118- 120)**	52
.31	**المطلب الأول:** تحذير الأُمة من موالاة الأعداء	53
.32	مظاهر موالاة الكفار	58
.33	**المطلب الثاني:** تثبيت المؤمنين	59
.34	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (121- 131)**	61
.35	**المطلب الأول:** وصف غزوة أحد	62
.36	**المطلب الثاني:** التعامل بالربا سبب الهلاك واجتنابه سبب الفلاح	69
.37	**المطلب الثالث:** طاعة الله ورسولهﷺ سبب الرحمة الإلهية.	71

الفصل الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية(133-152)		
.38	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (133-138)**	74
.39	**المطلب الأول:** الأمر بالمسارعة والمنافسة في الخيرات	75
.40	**المطلب الثاني:** صفات المؤمنين	77
.41	**المطلب الثالث:** الاعتبار بمصائر الأُمم السابقة	80
.42	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (139- 145)**	84
.43	**المطلب الأول:** مواساة المؤمنين بعد أحد	85
.44	**المطلب الثاني:** سُنة الابتلاء لتمحيص ومحق الكافرين	88
.45	**المطلب الثالث:** التحذير من الانقلاب على الأعقاب	91
.46	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (146 - 152)**	97
.47	**المطلب الأول:** ثبات أتباع الأنبياء على الحق وصبرهم	98
.48	**المطلب الثاني:** عاقبة طاعة الكافرين الخسران المبين	101
.49	**المطلب الثالث:** الوعد الإلهي بالنصر والتمكين للمؤمنين	103
الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة آل عمران من الآية(153-170)		
.50	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (153 - 158).**	107
.51	**المطلب الأول:** أهمية السكينة والأمن في ثبات المؤمنين	108
.52	**المطلب الثاني:** وسوسة الشيطان وإغواؤه من أسباب الهزيمة في غزوة أُحد	113
.53	**المطلب الثالث:** دور المنافقين في تثبيط المؤمنين	115
.54	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (159- 168)**	117
.55	**المطلب الأول:** العفو ولين الجانب والشورى من صفات القيادة الرشيدة	118
.56	**المطلب الثاني:** إن ينصركم الله فلا غالب لكم	121

.57	**المطلب الثالث:** رضوان الله ورحمته بعباده وارساله محمدﷺ من نعم الله عليهم.	123
.58	**المطلب الرابع:** ما أصاب الناس من مصائب فهي بإذن الله	125
.59	**المطلب الخامس:** المنافقون أقرب للكفر منهم الإيمان	126
.60	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (169 - 170)**	127
.61	**المطلب الأول:** الشهادة دلالتها وأقسامها	128
.62	أقسام الشهداء	129
.63	**المطلب الثاني:** مآثر و ثمرات الشهادة	130
.64	فضائل الشهادة في الكتاب	130
.65	فضائل الشهادة في السنة	132
.66	**المطلب الثالث:** نماذج من شهداء أحد	135
الخاتمة		
.67	**أولاً:** النتائج	138
.68	**ثانياً:** التوصيات	139
الفهارس		
.69	**أولاً:** فهرس الآيات القرآنية	141
.70	**ثانياً:** فهرس الأحاديث النبوية	147
.71	**ثالثاً:** فهرس الأعلام المترجم لهم	149
.72	**رابعاً:** فهرس المصادر	150
.73	**خامساً:** فهرس الموضوعات	172

ملخص الرسالة

﴿الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم﴾

من سورة آل عمران من الآية (93-170)

تناول فيها الباحث مقاصد وأهداف الحزب السابع من سورة آل عمران، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

أما **التمهيد:** فقد تناول فيه الباحث تسمية السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وزمن نزولها، ومحور السورة وأهدافها.

أما **الفصل الأول:** فقد تناول فيه الباحث إقامة الحجة على أهل الكتاب، وبيان بطلان شبهاتهم، وإصرارهم على الكفر، وتحذير المؤمنين من طاعتهم، وبيان فضل أمة محمد ﷺ والدعوة إلى الاعتصام.

أما **الفصل الثاني:** فقد تناول فيه الباحث العدل في النظرة إلى أهل الكتاب، ومصير أعمال الكافرين يوم القيامة، وتحذير الأمة من موالاة الأعداء، ووصف لغزوة أُحد.

وأما **الفصل الثالث:** فقد تناول فيه الباحث المسارعة في الخيرات، وصفات المؤمنين، وأخذ العبرة من الأمم السابقة، وسنة الابتلاء، وخطورة إيثار الدنيا على الآخرة، ووعد المؤمنين بالنصر والتمكين.

وأما **الفصل الرابع:** فقد تناول فيه الباحث، أهمية الأمن في ثبات المؤمنين، ودور المنافقين، ووسوسة الشيطان، ومبدأ الشورى، والشهادة في سبيل الله، تعريفها وأقسامها وثمراتها.

وأما **الخاتمة:** فقد استعرض فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات، التي توصل إليها الباحث.

Abstract

Analytical study
The aims of the seventh section of the Holy Qur'an
from Al Imran surah from {93-170}

The researcher has addressed the objectives of the seventh part of Al Imran surah this research has come with introduction, preface, four chaptres and aconclusion.

The preface:- The researcher has addressed the name of the suea, its virtues, the number of verses, the time of falling and the objectives.

The first chapter:- The researcher has addressed establishment the proof on [Ahl_ ALkitab], the falseness of their suspicions, their insisting on disbelief, warning believers of obedience and imitating the unbelievers, and the favor of Muhammed Nation peace be upon him and Acall for unity.

The second chapter:- The researcher has addressed the justice in perception of [Ahl_ ALkitab], the fate of unbelievers works on the day of Resurrection, warning the nation of loyalty the enemies and adescription of uhd Battle.

The third chapter:- The researcher has addressed the hassten to good things, recipes of believers, take alesson from the previous Nations, infestations, the danger of predilection this life on the hereafter and promising the believers with victory and empowerment .

The fourth chapter:- The researcher has addressed the impotance of security in the stability of the believers the role of the hypocrites, temptation of satan, the principle of the shura and definition, types and results of martyrdom for the sake of Good.

The Conclusion: The researcher reviewed the key findings, and recommendations stemming from the study.